ابن ماجد والبرتغال

تأليف

الدكتور عبد الهادي التازي

الطبعة الثالثة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ابن ماجد والبرتغال

د . عبد الهادى التازى

تمهيد

هناك أوجه شبهٍ كثيرة بين تاريخ هذه الجهات : سواء فى خليج عُمان أو فى الخليج العربى ، وبين مثيلاتها سواء على ضفاف البحر المتوسط أو المحيط الأطلسى . ذَكَر هذا قبل نحوٍ من سبعة قرون رَحَّالَةٌ مغربى زار هذه الديار[١] ... ولم تفتأ إفادته الهامة مهيمنة على كلّ الذين قرأوا أو كتبوا عن التاريخ الفكرى والإجتماعى والسياسى لهذه المنطقة أو تلك .

وسأضرب منذ البداية أمثلةً لتلك الصلات مما يدخل فى نطاق حديثنا عن مكانة هذا الرجل الفذّ الذى يحمل إسم أحمد بن ماجد .

إن بعض المخطوطات العربية من التى يعتزّ بها رجال العلم ، على المستوى الدّولى ، ومن التى اختفت نهائياً من المكتبات والخزائن المغربية كانت توجد فى مكتبات عواصم الخليج وبالذات فى مكتبة شهاب الدين بن ماجد الجُلفارى الذى قرأها وعلّق عليها ، وهذا وحده يعبّر جَيِّداً عن الصلات الفكرية التى توجد بين البلدين على تباعدهما .

---

(١) التازى : الصلات التاريخية بين المغرب وعُمَان ، سلطنة عُمَان ، وزارة التراث القومى والثقافة ، سلسلة تراثنا ، عدد ٢٢ - المطبعة الشرقية ومكتبتها : مسقط .

وإن بعض « التعْويذات والتحْويطات » التى كان ابن ماجد يردّدها وهو يجهّز مراكبه ويوجه تلاميذه عبر الخليجين المذكورين وبحر القلزم والمحيط الهندى ، كانت « نفس الشعار » الذى كان يرفعه الرؤساء البحريون فى بلاد المغرب أثناء عبورهم بحر الظلمات أو بحر الروم وبوغاز جبل طارق .. ولَكَأنَّمَا كانت هناك اتّصالاتٌ مسبقة حول فائدة وأهمية تلك « التعويذات والتحويطات » ، وهذا وحده يحتاج إلى دراسات ..

وإذا ما طرقنا مواضيع أخرى مما لها صلة أيضاً بالمنطقة ، فإننا سنجد أنّ الوجود البرتغالى فى هذه الأقاليم كان لا يختلف عنه فى أقاليم المغرب سواء فى ظروفه أو أسبابه أو نتائجه ، بفارقٍ بسيط : تلك مقصودة لأسماكها ، وهذه مقصودة لبهاراتها[١] !

ومن هنا كان الخليجيون والمغربيُّون يتصرفون ولَكأنما كانوا – كما أشرنا – على سابق اتفاق فيما بينهم ، فى المقاومة والدفاع أحياناً ، وفى المصانعة والمهادنة حينا آخر !!

إن جلّ الشّخصيات البرتغالية التى تردّد ذكرها بالمنطقة هنا ، تردّد ذكرها فى تاريخ الصراع المغربى البرتغالى !!

---

(١) أصبح للبهارات والتوابل من الأهمية مثل ما للبترول اليوم .. ! ومرد تلك الأهمية يعود إلى أن توفير العلف فى الخريف والشتاء كان من أصعب الأمور ، فكان الأوربيون يضطرون إلى ذبح مالديهم من حيوانات عند دخول الخريف للاحتفاظ بلحومها حين يشتدّ البرد وتشح الأعلاف ، ولما كانت الثلاجات لم تخترع بعد، فقد كانت اللحوم تملح وتُتبَّل لتبقى صالحة للأكل أطول فترة ممكنة ، كما كانت التوابل والبهارات ضرورية لتلطيف طعم مذاق تلك اللحوم حين أكلها ..

عن التاجر : الربان أحمد بن ماجد ، مجلة (العرب) حلقة أولى رمضان ١٣٩٠ = شعبان ١٩٧٠ .

لويس كامويس : الشاعر البرتغالى الذى كان يلهب حماس المقاتلين البرتغاليين بالهند وديار الخليج بما نظمه من قصائد وملاحم ، كان بسبتة المغربية وفيها فقد عينه « اليسرى » على يد أحد المجاهدين المغاربة الذى رماه بطلقة نارية[١] !

الفونسو ألبوكيرك : الذى لا تخلوا معظم الوثائق الخليجية من ذكره على أنه .. وأنه .. وأنه .. كان قبل أن يأتى إلى هنا ، أسيراً لَدى المغاربة لفترة من الزمن فى موقعة جزيرة المليحة ، La Graciosa ، حيث شاهدنا أن الجيش المغربى يحاصر الجيش البرتغالى فى يوليه ١٤٨٩ = شعبان ٨٩٤ فى الجزيرة المذكورة إلى أن خضع البرتغال لإبرام اتّفاقية ٢٧ غشت ١٤٨٩ [٢] !

أريد التأكيد على القول بأن تاريخنا مشترك وأن أحداً لا يمكنه أن يتحدث حول برثلميو دياز ، DIAZ , Bartolomeu ، وفاسكو دى غاما وكامويس وإلبوكيرك ، دون ما أن يتحدث عن سبتة ويتحدث عن المحيط الأطلسى ، وأن أحداً لا يمكنه أن يتحدث عن الوجود البرتغالى فى المشرق دون ما أن يجد نفسه مشدوداً إلى الحديث عنه بالمغرب !

وأحبّ أن أذكّر فى هذا الصدد بمعركة تاريخية وقعت فى المغرب ، اهتزّ لها عُمَان طرباً وفرحاً قبل أن يرتجّ العالم كله لسماعها ، ويتعلّق الأمر بالوقعة التى اصطدم فيها الجيش المغربى بالجيش البرتغالى

(١) Michel Mourre : Dictionnaire d'histoire Universelle T . I . P . 330

(٢) Wolter de gray Birch : (London 1774, The Hakluyt Sociètey .) ALFONSO ALBOQUERQUE P . 216 — 217 .

عام ٩٨٦ = ١٥٧٨ حيث شاهدنا - فى ظرف ساعاتٍ معدوداتٍ - مصرع ملك البرتغال دون سباستيان فى أرض المغرب على مقربةٍ من مدينة القصر الكبير ! وحيث رأينا أن الشاعر المبدع أبا فارس عبد العزيز القشتالى يقف ليهنىء العاهل المغربى السلطان أحمد المنصور السعدى بقصيدةٍ نونيةٍ طويلة يقول وهو يشير لأثر الوقعة فى نفوس المغلوبين على أمرهم ، سواء على شط الفرات أو على شط خليج عُمَان ، يقول من جملة ما يقول حول تلك المعارك :

مِنَ اللّائى جَرَّ عْنَ العِدا غُصَص الردى
وعَفّرن فى وجه الثرى وجْه (بستان)
فكم هنأت أرض الفرات بك العُلى
ووافت بك البشرى لأرضِ عُمَان[1] !

إن الذين قالوا هذا الشعر ، وأن الذين قيل فيهم هذا الشّعر كانوا يعرفون جيّداً عن صلة المغرب بِعُمَان وأرض الفرات ، ويعرفون أن الصيحة هنا تعكس بصداها على الأرجاء هناك !

ومن العجب حقّاً أن المؤرخين العرب - على كثرتهم - لم يشيروا من بعيد أو قريب لعلاقة معركة وادى المخازن فى المغرب الأقصى بنهاية الإستعمار البرتغالى فى الشرق وبخاصة فى منطقة الخليج العربى وخليج عمان ..

---

(١) الناصرى : الإستقصاء ٥ ر ١٦١ طبعة الدار البيضاء ١٩٥٥ . د. التازى : تجاوب الأدب المغربى مع نوازع الخليج : منشورات مركز دراسات الخليج العربى ، الكتاب الأول ١٩٧٧ ص ٤٧ .

وأعجب من هذا أن نرى المصادر التاريخية التركية بما فيها المصادر المعاصرة ظلت تتجاهل آثار تلك المعركة الحاسمة على نهاية الوجود البرتغالى فى المنطقة بالرغم من أن الدولة العثمانية كانت تعرف أكثر من غيرها عن الأثر المهول الذى خلّفه مصرع دون سباستيان فى الساحة الدولية برمتها[١] !

مؤرخ أمريكى واحد هو الزميل العميد روبيرت ج . لاندن (R.G-Landan) من جامعة تينِسى ، نوكسفيل (Tennessee, Knoxville) الذى أستأثر من دون سائر المؤرخين لينبّه إلى دور المغرب فى كسر شوكة البرتغال فى الخليج[٢] ..

ولابدّ أن أذكر هنا - تكملةً لكلّ هذا - أن تحرك العثمانيين فى هذه المنطقة كان له نفس الآثار ونفس المضاعفات التى كانت له عندما تحرك العثمانيون فى بلاد المغرب .. وأن بعض الذين كتبوا عن العرب هنا وعن موقفهم من الحكم التركى كانوا يقصدون أيضاً إلى العرب هناك وموقفهم من الحكم التركى كذلك[٣] !

وهكذا يتجلى أننا نعيش تاريخاً مشتركاً ونكتب تاريخاً كذلك مشتركاً : حادث مّا على خليج عُمان مثلًا يعكس صداه هناك

(١) د . صالح أوزبران ، جامعة اسطنبول : الأتراك العثمانيون والبرتغاليون فى الخليج العربى ١٥٣٤ - ١٥٨١ ترجمة وتعليق د . عبد الجبار ناجى ، جامعة البصرة ، منشورات مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة ، سلسلة رقم ٢٧ - مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٧٩ .

(٢) روبرت ج . لاندن : عمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصيراً ، ترجمة محمد أمين عبد الله ١٩٦٦ سلطنة عمان ، وزارة التراث القومى والثقافة ص ٢٧ .

(٣) القصد إلى النهروالى على ما سنرى .

على خليج طنجة ، وحادث مّا على مقربة من المحيط يكون له أثره فى ما وراء أطراف الخليج .. ولو أن مؤرخينا القدامىْ - وربما بعض المعاصرين كذلك يهملون - كما أشرنا - مع الأسف - التركيزَ على مثل هذا « التّشابك » الذى يعتبر فى نظرنا معبّراً عن حقائق لا يجوز التغاضى عنها ..

ذكرت كلّ هذا لأؤكّد على أن عامل بعد المسافة بين الخليج والمحيط لم يكن شيئاً يذكر أمام الوشائِج المتينة التى تجمع بين جناحى المشرق والمغرب .

وفى ختام هذا التمهيد لابُدَّ أن نلاحظ عن الظاهرة الغير المحبّبة التى كانت مثار شكْوى سائر الذين يهتمون بكتابة تاريخ العرب إنْ فى المغرب أو المشرق ، لقد دأبنا - وهذا أمر يجب الإعتراف به - على إهمال تاريخنا وخاصة منه التاريخ الدّولى .. يَقف أمامى عدد من الأمثلة لذلك الإهمال الذى نشعر معه بفراغ مهول فى مسيرتنا الطويلة ، بل إننا أحياناً نجد أنفسنا أمام تصرفٍ أكثر خطورةً وأعظم وزراً من الإهمال : إنه التشغيب والتخريف للتاريخ وإنه التلبيس والتزوير للأحداث .. !

وفى نظرنا أن ذلك الإهمال أو هذا « التشغيب » أولى بالتصدى له ، إنَّ المُهمل محايد مسالم فى أكثر الحالات لكنّ المشغّب يتخذ موقف المغرض الذى لا يقل ضرراً عن المفترى والمعتدى !

وفى هذا الصدد ينبغى بل يجب أن لا تُخيفنا كُنَى وألقاب المهملين أو المخربين ، ويجب أن نظلّ مشدودين إلى الحقيقة وحدها .. !

مكانة ابن ماجد !

فى الوقت الذى عرف فيه الغرب الإسلامى فترة ركود فى النشاط البحرى نتيجةً للحصار المحكم الذى فرض عليه من لدن الأساطيل الأجنبية التى هيمنت على الممرات المائية فى المنطقة[١] ، كان يلوح فى أفق المشرق العربى قَبَسٌ يضيىء مجاهل المحيطات والبحار بما كان يتوفر عليه من خبرة ودراية ، ونعنى بذلك شخصية ابن ماجد التى حلّقت فى سماء المعرفة وبرزت فى ميدان الإختراع والإبتكار والتأليف . نحن اليوم نحلق مع شخصية أعطت المثل على أنّها قدوة فى السلوك والخلق الرفيع .. إنه ابن ماجد العالم الذى أطلع على عدد من المؤلفات ، وقام بتجربة طويلة فى الملاحة البحرية قبل أن يقدم لنا هو حصيلته العلمية فى أزيد من خمسة وثلاثين كتاباً كلّها مطرف ومفيد !! ابن ماجد الذى لم يكن إمَّعةً يكتفى بترديد ما قاله الآخرون ، ولكنه كان يدرس وَينتقد ويعطى ويأخذ .. إنه « رابع الثلاثة » كما كان يتحدث عن نفسه اعتزازاً وفخراً[٢] .

لقد ظل إسم ابن ماجد على ألسنة البحارة فى خليج عمان والبحر الأحمر والمحيط الهندى قروناً عديدةً بعد وفاته حتى أن السير ريتشارد بورتون (Sir Richard Burton) يذكر فى كتاب : الخطوات الأولى فى شرق أفريقيا (First Footsteps in East Africa) أنه لما أبحر من عدن عام ١٨٥٤ تلا البحارة سورة الفاتحة ، قبل الإقلاع ترحما على روح الشّيخ ابن ماجد !

---

(١) ابن خلدون : المقدمة طبعة بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٤٥١ – ٤٥٢ .

(٢) القصد إلى ابن شادان وابن أبان وابن كهلان على ما يقوله فى كتابه « الفوائد » .

ليس موضوع حديثى اليوم تقييم نظريات ابن ماجد حول الممرات المائية التى تصل بين الأوقيانوسات ، ولا عن أسلوبه التجريبى الذى اختلف فيه عن سائر الملاحين الذين يكتفون بالعروض النظرية .. فقد تصدّى لذلك المهتمون بأمر الملاحة .. من الذين أثنوا جيّداً على معلومات بن ماجد وقدروا مِصْداقيتها .. ولكن الذى استوقفنى ويستوقفنى حقّاً هو أن أقرأ عن مؤلف لا تفصل بين أيامه وبين أيام ابن ماجد سوى نحوٍ من ستّ وسبعين سنة ، أقرأ عنه يقدم تلك المعلمة الكبرى بعبارةٍ ناشفة تافهة .. !

خَبَر النهروالى عن ابن ماجد

إن الأمر يتعلّق بقطب الدين النهروالى (تـ ٩٩٠ = ١٥٨٢) فى كتابه (البرق اليمانى فى الفتح العثمانى)[١] .. هناك ، وفى معرض الحديث عن وصول البرتغالى إلى ديار الهند قدّم لشهاب الدين أحمد ابن ماجد على أنه « شخص » ! وهذا تعبيرٌ نستعمله عندما نتحدث عن نكرة من النكرات ! ولَكأنما شعر النهروالى بأن كلمة « شخص » لا تفيد أكثر من مدلولها ، فأضاف إليها جملة نعتية هكذا : (يقال له أحمد بن ماجد) ، فكانت هذه الجملة النعتية أيضاً مما كشف عن مدى « عواطف » النهروالى حيال ابن ماجد !! إن كل ما يعرفه النهروالى عن ابن ماجد أنه « شخص » يُدْعَى كذا ! أى إنه (هيَّان بن بيَّان) كما يقول المثل العربى ..

---

(١) من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض المملكة العربية السعودية ، وقد أشرف على طبعه أستاذنا الجليل الشيخ حَمَد الجاسر ضمن سلسلة نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

إن مجرد هذه الجملة القصيرة من النّهروالى كافية بالنسبة للذين يقيّمون معلوماته حول أحداث ورجالاتٍ لا يفصله عنها فى المكان والزمان كبير فرق !!

إن ذلك الصَّرح الشامخ الذى كنا ننتظر من النهروالى أن يتنازل ويقدمه إلينا - على الأقل - منسوبا لأجداده معروف البداية والنهاية .. لم يكن فى إفادة النهروالى غير « شخص يقال له فلان ».

من هنا أبدأ .. ومن هنا سأنطلق مع المعلومات التى قدّمها النهروالى .. وخاصّةً منها ما يتصل بأخبار البرتغال وصلتهم بالملاح العربى ، يقول النهروالى :

« وقع فى أول القرن العاشر (١٤٩٥ م) من الحوادث الفوادح النوادر دخول (الفرتقال) اللعين ، من طائفة الفرنج الملاعين ، إلى ديار الهند وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبْتة فى البحر ويلجون فى الظلمات ويمرون بموضع قريب من جبال القُمْر[1] .. وهو مادة

---

(١) جبال القمر هى التى يطلقها الجغرافيون العرب القدامى على السلسلة الجبلية التى ينبع منها النيل وهى غير (جزر القُمْر) الواقعة بين مدغشقر (الواقواق) منْفَى الملك محمد الخامس رحمه الله وبين الموزامبيق شرق افريقيا فى المحيط الهندى .

المسعودى : مروج الذهب ، النص والترجمة ، باريز ، المجلّد الثانى المطبعة الملكية ص ٣٦٠/٣٦١ معجم البلدان ، مادة القمر ، شكيب أرسلان : جزائر القومور ، حاضر العالم الإسلامى ج ٣ ص ١٤٢ .

عبد الرحمن بدر الدين : العرب فى افريقيا ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، مارس ١٩٨٠ د . أحمد رمضان شقليت افريقيا ، مجلة الفيصل ، الرياض عدد ٥٣ السنة الخامسة ذور القعدة ١٤٠١ = شتنبر ١٩٨١ .

Bernard Gèrard : Les Comores , Editions de Lroisse

أصل بحر النيل ، ويصلون إلى المشرق ، ويمرون بموضع قريب من الساحل ، فى مضيقٍ أحدُ جانبيه جبل ، والجانب الثانى بحر الظلمات ، فى مكان كثير الأمواج ، لا تستقر به سفائنهم ، وتنكسر ، ولا ينجو منهم أحد ، واستمروا على ذلك مدة وهم يهلكون فى ذلك المكان ، ولا يخلص من طائفتهم أحدٌ إلى بحر الهند ، إلى أن خلُص منهم غُرَاب[1] إلى الهند ، فلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر ، إلى أن دلهم شخص ماهر ، يقال له أحمد ابن ماجد ، صاحَبَهُ كبير الفرنج ، وكان يقال له (اَلْمَسْنْدى)[2] وقال لهم : لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتَوَغَّلُوا فى البحر ، ثم عودوا

---

(١) الغُرَاب : نوع من السفن البحرية السريعة قابلوه فى اللغة البرتغالية بكلمة كرافيل .. وتجمع الكلمة على غِرْبان أو أغربة .. وأن الذين يهتمون بتاريخ الأساطيل الإسلامية لابُدّ وأنهم سيقفون على العديد من الشعر الذى يتضمن الإشادة بالغربان . أنشد أبو عمر بن حربون فى السيد الأعلى أبى حفص (القرن السادس الهجرى) :

بَحْرٌ كأنَّ أبا حفص بصهوته   لقمان والمركب الجارى به لُبَدُ
تعجبوا من غرابٍ فوق غاربة   ثهلان ذو الهضبات الشم أو أُحُد !!

ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة على المستضعفين : تحقيق عبد الهادى التازى ، بيروت ١٣٨٣ = ١٣٦٤ = ١٩٦٤ ص ٢٥٥ .

(٢) لقب - كما يقول ابن خلدون فى المقدمة - يُعْطَى لرئيس الأسطول فى اصطلاح الإفرنجة بينما يذكر فانسان مونطى أن الكلمة الفرنسية « أميرال » آتية من اللغة الإسبانية (Almirante) المحرفة عن الإسم العربى : أمير البحر ..

Al - Muqaddima

. Traduction Nouvelle, Prèface et note par Vincent Monteil

SindBad T . 2 P . 517 .

د . التازى : الأسطول المغربى عبر التاريخ ، مجلة البحث العلمى عدد ٢٣ ص ٢١ . ١٩٨٣

فلا تنالكم الأمواج ، فلماّ فعلوا ذلك صار يسْلَم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا فى بحر الهند ، وبنوا فى كَوة قلعة .. ثم أخذوا هرموز وتقووا هناك ، وصارت الأمداد تترادف عليهم من البرتغال ..

هكذا يبدو النهروالى وكأنه قليلَ المعرفة بل عديمَها بذلك الشخص الذى يقال لَهُ ابن ماجد ، أكثر من هذا التجاهل تطوَّع النهروالى من تلقاء نفسه باعطاء خبر عن مساعدة ابن ماجدٍ للبرتغال لم يقرأه أحد فى أى مصدر من المصادر التى اهتمت بتاريخ منطقة الخليج !

نقول فى أى مصدر ونحن نعنى المصادر العربية ، والمصادر التركية والمصادر الهندية ، والمصادر البرتغالية ..

فحول المصادر العربية نرى أن كل الذين تناولوا هذه الفترة من التاريخ لم يدر بخلد أحد منهم أن يتقوَّل على أحمَد بن ماجد على ما سمعناه عن النهروالى بما فى ذلك المصادر المعاصرة للحدث ، بما فى ذلك مؤلفات سليمان المهرى .

أما عن المصادر التركية – وخاصة القديمة – فقد افترضتُ أن يكون النهروالى إنما كان مترجِماً لما وجده فى المولَّف المنظوم باللسان التركى الذى قدمه إليه القائد سنان باشا فاتحُ اليمن ليعتمد عليه فى كتابه « البرق اليمانى » ، ذلك المؤلف الذى يحمل عنوان تاريخ فتح اليمن لأمير اللّواء السّلطانى مصطفى بك الرّموزى[1] ، لكننى

(١) على التاجر : الربان أحمد بن ماجد ، دفاع أو تقييم الحلقة ٢/٣ من ست حلقات نشرتها مجلة العرب ، السنة الخامسة (رمضان ١٣٩٠ هـ = نوفمبر ١٩٧٠ ، إبريل ١٩٧١م) جريدة الاتحاد (الامارات المتحدة عدد ١٩ نوفمبر ١٩٧١) . حسن=

بعد الوقوف على نقول المصادر التركية الأصيلة من أمثال كتاب « المحيط » للأميرال التركى سيدى على شلبى (تـ ٩٥٩ - ١٥٥٢) الذى كُتب بعد ابن ماجد - فقط - بنحو خمسين سنة والذى أثنى ثناءً جمّاً على شخصية ابن ماجد ، تأكّدتُ من أن ابن ماجد كان فوق أن تمسه تُرَّهات النهروالى . لقد كانت مهمة سيدى على بالدرجة الأولى أن يطرد البرتغال من الهند . ولو كان يعلم أن ابن ماجد كان له أدنى ضِلع فى مساعدة البرتغال لما أوْسَعَه بذلك الثناء العاطر[1] .

ولم أقتصر على التأكد من براءة ابن ماجد ، بل اننى وصلت إلى فكرة سأتعجل بإثارتها : وهى أن النهروالى (تـ ٩٩٠ = ٥٨٢) استمدّ معلوماته عن وصول البرتغال فى أول القرن التاسع وتخبط أسطولهم فترة من الزمن إلى أن تمكن من مراكبهم من بلوغ الهند ، قبل وصول دى كَاما .. استمدّ تلك المعلومات من إحدى مخطوطات ابن ماجد ، وهى (السُّفالية) الآتية الذكر .. إذ لا يعقل أن يستفيد الأميرال التّركى شلبى من آثار ابن ماجد ثم لا يعرف النهروالى عنها شيئاً مع ما عرفنا عن صلته الوطيدة بالأتراك !!

أنا ما أزال أنتظر من الأستاذ الشيخ حمد الجاسر ، أمد الله

=صالح شهاب : أضواء على تاريخ اليمن البحرى دار العودة . بيروت ، طبعة ثانية ١٥/٢/١٩٨١ ص ٢١٧ .

G . R . Tibbetts arabe Navigation London 1981 p . 1011 .

د . أمين الطيبى : الملاحة البحرية ، مجلة العربى (الكويت) صفر ١٤٠٤ = دجنبر ١٩٨٣ .

(١) د . أنور عبد العليم : الفوائد فى أصول علم البحر والفوائد - مجلة العرب ، سنة رابعة جزء تاسع ، ربيع الأول ١٣٩٠ سنوية ١٩٧٠ .

فى عمره ، وأن يقوم - تكميلًا لعمله الرائد بنشر البرق اليمانى - بمتابعة النهروالى حول المصادر التى استقَى منها « برقة »[١] .. أما عن المصادر الهندية ، القديم منها والحديث ، فإنه يتأكّد لدينا من حلال الإستقصاءات المقدمة أن أحداً من المؤرخين الهنود لم تسمح له نفسه أن يتحمل وِزْرَ اختلاقِ فريةٍ فى مثل ذلك الحجم عن شخصيةٍ عظيمة فى مثل مركز ابن ماجد .

وعن المصادر البرتغالية التى تهمنا كثيراً فإننا نجد على رأسها المؤلَّفات المعاصرة ، تقريباً ، لحركة فاسكو دى كَاما .. ونستطيع من الآن أن نقول إنه لا يوجد منها مؤلَّف برتغالى واحد ذكر إسم ابن ماجد ولو بشكل محرّف ، بل ما قرأنا فى تاريخ كاستا نهيدا[٢] (Gastanheda) ، طبعة ١٥٥٢ ، وكتاب كَويش (Goes)[٣] طبعة ١٥٦٦ أنه المعلم (كاناكا Malemo Ganaqua) ، كما قرأنا فى كتاب باروش ١٧٧٧ (Barros) اسم المعلم (كانا Gana)[٤]

وقبل هذا التاريخ وقفنا على إلياذة الشاعر كامويس المطبوعة

(١) يلاحظ أن النهروالى كان يتجاهل عددا من المصادر التى اعتمدَها من ذلك مثلا مروج الذهب للمسعودى الذى يتحدث عن منابع نهر النيل ..

(٢) يحمل كتاب كاستا نهيدا عنوان :

'Historia do descrobimento e conquista d india'

ليشبونة : (طورى دو طومبو) ، ومعلوم أنه نشر عدة مرات .

(٣) ذكر هذه المعلومات كويش فى الفصل ٣٨ من كتابه المعنون هكذا :

'Ghronica de serenissimo Rei D . Manuel'

وقد نشر هذا الكتاب عدة مرات ، ونتوفر على طبعة ١٥٦٦ ، وطبعة ١٦١٩ مصورة كذلك عن الأرشيف الوطنى فى ليشبونة « طورى دى طومبو » .

(٤) الكتاب يحمل عنوان : 'Asia de Joào ae Barros'

عام ١٥٧٢ ، وهى تتحدث - كما سنرى - عن ربّان يحمل اسم ميلمدانو (Melmdano)[1] .

وفى معرض حديث باروش عن التجار الهندوس الذين وردوا على فاسكو دى كَاما فى ماليندى قال باروش « لقد أقبل معهم أحدهم من كجرات يحمل إسم (كانا) فإنضمَّ إلى صحبة رجالنا (Maure) **يلتمس المتعة والسلوان بقدر ما كان يتوسل لارضاء حاكم ماليندى الذى كان - بالصدفة - يبحث عن ربان يرشد البرتغاليين .**

وهكذا وقع الإختيار على هذا الكجراتى الذى نال إعجاب دى كَاما .. فكانت له معه مذكرات حيث تبودلت المعلومات والخرائط والأجهزة العلمية .. » إلى آخر ماورد فى هذه الإفادة التى تؤكد أن المعلم (كانا) هذا أبحر فعلًا مع دى كَاما يوم ٢٤ أبريل ١٤٩٨ .

لقد قصدت أن أجعل خطّاً تحت السطر الذى يذكر أن ذلك الوارد على فاسكو كان يبحث عن « المتعة » من جهة ، ويتوسل « للخدمة » من جهة أخرى ، لأنبّه من الآن إلى أن تلك الأوصاف لا تنطبق إطلاقاً على ابن ماجد وإنما تنطبق على من كان يحمل إسم (كاناكا) !!

والعجب من فيزّان حيث رأيناه « يزعل » على المؤرخين البرتغاليين القدماء الذين لم يذكروا إسم ابن ماجد بالذات ، إنّهم بثلاثتهم :

---

(١) Os Lusiados P . 473.

to maior acatamento; e como gente que ſe deleitava na viſta daquella imagem, logo ao outro dia tornáram a ella, offerecendo-lhe cravo, pimenta, e outras moſtras de eſpeciarias das que vieram alli vender, e ſe foram contentes dos noſſos pelo gazalhado que recebêram, e maneira de ſua adoração: tambem elles ficáram ſatisfeitos do ſeu modo; parecendo-lhes ſer aquella gente moſtra de alguma Chriſtandade, que haveria na India do tempo de S. Thomé, entre os quaes vinha hum Mouro Guzarate de nacao chamado Malemo Cana, o qual aſſi pelo contentamento que teve da converſação dos noſſos; como por comprazer a El-Rey, que buſcava Piloto pera lhe dar, acceptou querer ir com elles. Do ſaber do qual Vaſco da Gama, depois que praticou com elle, ficou muito contente, principalmente quando lhe moſtrou huma carta de toda a coſta da India arrumada ao modo dos Mouros, que era em meridianos, e parallelos mui miudos ſem outro rumo dos ventos; porque como o quadrado daquelles meridianos, e parallelos era mui pequeno; ficava a coſta per aquelles dous rumos de Norte Sul, e Leſte Oeſte mui certa, ſem ter aquella multiplicação de ventos, d'agulha commum da noſſa Carta, que ſerve de raiz das outras. E amoſtrando-lhe Vaſ-

صورة من كتاب بارّوس طبعة ١٧٧٧ عن نسخة الارشيف الوطنى بلشبونة (طورى دوطومبو).

E=D

OS LVSIADAS DE L. DE CA.

Aßi mesmo a fermosa Galatea
Dizia ao fero Noto, que bem sabe
Que dias ha que em vella se recrea,
E bem cre que com elle tudo acabe,
Não sabe o brauo tanto bem se o crea,
Que o coraçam no peito lhe não cabe,
De contente de ver que a dama o manda,
Pouco cuida que faz se logo abranda.

Desta maneira as outras amansauam
Subitamente os outros amadores,
E logo aa linda Venus se entregauam,
Amansadas as iras & os furores,
Ella lhe prometeo vendo que amauam
Sempiterno fauor em seus amores,
Nas bellas mãos tomandolhe omenagem
De lhe serem leais esta viagem.

Ia a manham clara daua nos outeiros,
Por onde o Ganges murmurando soa,
Quando da celsa gauea os marinheiros
Enxergarao terra alta pella proa,
Ia fora de tormenta, & dos primeiros
Mares, o temor vão do peito voa,
Disse alegre o Piloto Melindano,
Terra he de Calecu, se não me engano.

Esta

إلياذة كامويست الطبعة ١٥٧٢

Depois de feitas suas çerimónias lhe tornou de nouo a pedir q̃ qui sesse ir ver seu pai, q̃ por ser muito velho, & entreuado nam podia fazer ho mesmo, & que pera segurança disso elle se iria có seu filho perás naos, do que se Vasquo da gama excusou, dizendo q̃ não trazia liçença delRei, seu senhor pera ho fazer. Entre tanto q̃ sestas praticas passauam, assi da çidade, quomo das nossas naos, & das dos Christãos Indios, & doutras, & dos bateis tirauã muitas bombardadas, & láçauão foguetes, ho que durou atte se ho Prinçipe recolher pera hos paços, ho qual todo ho tempo que alli esteue ha armada mandou visitar Vasquo da gama, & hos outros capitães com refresco da terra, allé do que lhe deu hum bom Piloto mouro guzarate, per nome Malemocanaqua, & com ho muito desejo que tinha de nossa amizade, tomou a fé a Vasquo da gama que tornasse per alli, porque em sua companhia queria mádar hũ embaixador a elRei de Portugal, pera com elle assentar paz, & amizade, com ha qual, & muito amor dos da terra partirão hos nossos daquella çidade de Melinde hũa terça feira xxiiij, dias Dabril, deixando posto hũ padrão na praia a que poseram nome sancto Spirito. Seguindo asi sua viajẽ pelo golfam que se faz da costa de Melinde, atte ha do Malabar, a hũa sexta feira xvij dias de Maio virão hũa terra alta, ha qual ho piloto Canaqua não pode bem conheçer, por ho tempo andar encuberto com chuueiros: mas aho Domingo seguinte pela manhá vio hũas serras que estão junto da çidade de Calecut, do que loguo pedio aluisaras a Vasquo da gama que lhas deu boas, & de boa vōtade, louuando todos a Deos polos ter guiados a lugar que táto tempo hauia que andauão buscando, fazendo por isso grandes festas, & alegrias com has quaes, & cõ has naos embandeiradas a som de trõbetas, no mesmo dia depois de jentar forão surgir duas legoas da çidade de Calecut, tam contentes quomo se já tiueram feito fim de seus trabalhos, & estiueram surtos diante da çidade de Lisboa, donde hauia onze meses que partiram.

Capitu. xxxix, Do que Vasquo da gama fez depois que surgio, & do recado que mádou a elRei de Calecut.

EMHASNAOSLANçando ancora chegáram a ellas algũs barcos, de que hos nossos compraram refrescos da terra. Destes soube Vasquo da gama que não era aquelle ho surgidouro de Calecut, offereçendoselhe que ho leuarião la,

صورة من كتاب كويس طبعة ١٥٦٦ عن نسخة الارشيف الوطني بلشبونة
(طوري دوطومبو) .

estaria agrauado dele porque não quisera ir a terra: ⁊ quereria q̃brar a amizade que tinhão assentado/ ⁊ pesaualhe disso/ porque ainda não tinha pilotos. E quando vio q̃ aq̃le seu criado lhos não leuaua teue má sospeita del rey, ⁊ por isso lho deteue. E sabendo el rey a causa disso, mãdoulhe logo hũ piloto guzarate chamado Canaqua/ desculpãdose de lho não ter mandado: ⁊ assi ficarão amigos como dantes.

¶ Cap. xiij. De como partido Vasco da gama de Melinde chegou a Calicut, ⁊ da grãdeza ⁊ nobreza desta cidade.

PRouido Vasco da gama d̃ todo ho necessario pa sua viagẽ, partiose d̃ Melinde pa Calicut hũa terça feira. xxiiij. Dabril, ⁊ dali começou logo datrauessar hũ golfão de setecẽtas ⁊ cincoẽta legoas/ porq̃ faz ali a terra hũa muyto grãde enseada, ⁊ corre a costa de norte a sul: ⁊ Vasco da gama foy em leste a demãdar a Calicut. E logo ao domingo seguinte virão os nossos ho norte/ que auia muyto q̃ deixarão de ver, ⁊ virão ho sul. E deulhes Deos tão boa vẽtura que fazendo ja rosto ho inuerno da India/ pelo q̃ faz naq̃le golfão grãdes tormẽtas, ele não achou nenhũa, antes vẽto a popa. E hũa sesta feira q̃ forão dezasete de Mayo, auẽdo vinte tres q̃ era partido de Melinde, ⁊ q̃ não virão terra/ ouuerão vista dela/ indo a frota oyto legoas ao mar, ⁊ a terra era alta: ⁊ logo Canaqua deitou ho prumo ⁊ achou corẽta ⁊ cinco braças ⁊ por se arredar desta costa/ como foy noyte se fez ho caminho ao sueste, ⁊ ao sabado a foy demãdar: ⁊ não se chegou tãto a ela que podesse auer perfeyto conhecimẽto dela, ⁊ isto pelos muyto chuueiros que acharão despois q̃ virão terra, que era ja inuerno na India, cuja costa esta era. E ao domingo vinte d̃ Mayo vio ho piloto hũas serras muyto altas q̃ estã sobre a cidade d̃ Calicut, ⁊ chegouse tãto a terra que as conheceo ⁊ com muyto prazer pedio aluissaras a Vasco da gama: dizendo que aquela era a terra q̃ desejaua de chegar, ⁊ ele lhas deu/ ⁊ logo mãdou dizer a Salue, õde todos derã muytos louuores a nosso Senhor, ⁊ forão feytas grãdes alegrias nos nauios: ⁊ no mesmo dia a tarde forão surgir duas legoas abaixo de Calicut, legoa ⁊ mea da costa, defrõte d̃ hũ lugar chamado Capocate, com que se ho piloto enganou, cuydãdo q̃ era Calicut. E surta a frota acodio logo gente de terra em quatro almadias a saber q̃ naos erão aquelas, porq̃ nũca virão outras daq̃la feição/ nẽ ir em tal tẽpo aaq̃la costa. E esta gẽte vinha nua/ saluo q̃ cobrião suas vergonhas com hũs pequenos panos/ ⁊ erão baços/ ⁊ algũs ẽtrarão na capitaina. E ho piloto Guzarate disse a Vasco da gama que aquela gente erão pescadores/ ⁊ que era gente mezquinha/ que assi chamam na India a gente baixa ⁊ pobre. E toda via ele lhes fez gasalhado ⁊ lhes mandou comprar pescado q̃ trazião: ⁊ deles

صورة من كتاب كاستانهيدا طبعة ١٥٥٢ عن نسخة الأرشيف الوطني بلشبونة

(طورى دوطومبو)

كويش ، وكاستنهيدا وبارّوش ، أو بالحرى المصادر التى أخذوا عنها ، كلّهم ارتكبوا خطأ لا لبس فيه ! ولو أنه - أى فيرّان - يعترف بأنه عاجز عن تفسير ذلك الخطأ !! إنه تعسف غريب وإصرار عجيب !

عادة البرتغال فى الكشف عن أسماء مساعديهم بالمغرب والمشرق :

بالرغم مما نلاحظه عن عدم تدقيق التقارير البرتغالية لاسماء حكام المناطق التى يزورونها .. موزامبيق ، ماليندى .. لكن أسماء المرشدين تظلّ منقوشة فى مخيّلة المقررين لأنها تلازمهم لفترة طويلة .. على نحو ما رأينا فى إسم « Moncaide » أو ابن سعيد الذى عاد مع فاسكو دى كَاما إلى البرتغال [١] ..

ونحن فى المغرب ابتلينا كذلك بالغزو البرتغالى ، تقريباً فى نفس الفترة وفى نفس الظروف وقد كان فى صدر ما اعتدناه من هذا الإستعمار أنه لا يتردّد فى إعطاء أسماء الذين ساعدوه أو الذين تعاونوا معه ، يرون فى ذلك مفخرة لهم من ناحية ، ومن جهة أخرى فإن ذلك من شأنه ان يستدرج الآخرين من ضعفاء الإرادة ويدفع بهم إلى التنافس فى تقديم المزيد من المساعدات للأجنبى !

عرفنا هذا فيهم واعتدناه ، ومن هنا حفظنا أسماء مغربية ظلت معروفة عبر الأجيال من أمثال : أوتا عفوفت وبن فرعون وبن واشيمان ، وميمون .. عن طريق التقارير البرتغالية أيضا عرفنا أسماء

---

(١) J . F . Rolland : Les Portugais à la conquete de l' Asie, 1956 , 262 P . club Français du Livre.

هؤلاء ، وبالرغم من أنها أسماء صعبة فى النطق البرتغالى وليست سهلة كإسم (بن ماجد) لكنهم نطقوها وكتبوها ، عن طريق تلك التقارير عرفنا المعلومات الدقيقة التى كانت تتصل بشخصيات مغربية أخرى كان لها ذكر فى تاريخ العلاقات البرتغالية المغربية ، ويتعلق الأمر بالمسْلوخ وبابنه اللّذين لعبا دوراً مهمّاً فى إغراء البرتغال ببلادنا[١] ..

أريد أن أقول أنه لو كانت هناك ذرةٌ من علمٍ لهؤلاء البرتغاليين عن إسم آخر غير كانا أو كاناكا لذكروه على نحو مارأيناهم يفعلون فى المغرب ، لقد تعرضوا فى تقاريرهم للشاذّة والفاذّة ، حتى عزْمهم وتخطيطهم لهدم الكعبة فى مكة ونبش قبر الرسول فى المدينة على ما نعلمه جميعاً[٢] !

هل كان خبر النهروالى ضمن التحامل على العرب ؟ !

وفى الوقت الذى كنا ننتظر من النهروالى أن ينسب المعلومات المتعلقة بالوجود البرتغالى فى المنطقة إلى مصادرها ، وجدناه لا يتجاهل

---

(١) لقب بالمسلوخ لأن الجمهور المغربى بعد أن عثروا على جثته بين قتلى معركة وادى المخازن سلخوه وحشّوه تبناً وكانوا يطوفون به تحذيراً لمن تسول له نفسه أن يركب متن الخيانة .. وقد التحق ابنه بالبرتغال وتنصر وهناك قضى بقية حياته :

Les Sources Inèdites de 1 ' Histoire de Maroc , Ire . Sè — Par Robert — Ricard - de Genival — Chantal de La veronne — Vasco ae carvalho : La Domi — nation portucaise de Maroc ...

(٢) العشارية الثالثة – الجزء الأول – الفصل ٣ .

الحملة البرتغالية إلى عُمان فى القرن السادس عشر – ترجمات من كتب التاريخ البرتغالية أعدته جمع الوثائق البرتغالية حول الخليج – سفارة عمان – باريز ، النص العربى " صفحة .

تلك المصادر فقط ، ولكنه يتقصد أصحابها لسبب أو آخر بالقدح والذم ..

إن هناك خطأ جسيماً وقع فيه بعض الكتاب عندما زيّن لهم أن يلعبوا بالنار ، فيأخذوا - خلافاً للتعليمات الإسلامية - فى تفضيل هذا الشعب على ذلك أو فى ادّعاء أن ذلك الجنس هناك يفوق هذا الجنس هنا .. إن ما عانته الأسرة من ويلات وما تزال تعانيه ، جدير أن ينبهنا إلى خطر تأريث العداوة بين الشعوب الإسلامية ..

وإن من المفيد جدّاً أن نقف مع بعض المقاطع التى وردت فى كتاب (البرق اليمانى) مما يكشف عن نزعة النهّروالى المتحيّزة !!

إنه عندما يصف العرب الذين لم يخضعوا للدولة العثمانية يقول عنهم : « لكنهم عربان حمْقَى جهلاء ، ليسوا عقلاء بل غفلاء ينخدعون بالكلام الباطل ويصدقون بالموهات الأباطل ، فركبوا من عقولهم متن عمياء وخبطوا خبط عشواء ! » .

لقد كان يعتبر أن الدولة التركية هى التى أنعش الله بها أهل الحجاز من الفاقة والفقر .. وعندما تحدث عن السلطان مراد قال : « واستمر فشملنى بإنعامه وأنعم على أولادى بالتدريس وأولاهم بكلّ إكرام وإحسان لطيف » .

وهكذا نال عند الأتراك جاهاً عظيماً تجلّى فى الإغداق عليه بوافر العطاء حتى لَكَان راتبه يُمَاثل راتب شيخ الحرم المكى الذى كانت رتبته عندهم تأتى بعد رتبة شريف مكة[1] !

(١) البرق اليمانى ص ٣٦ - ٣٧ - ٣٦٢ .

مخطوط آخر للنهروالى هديةٌ إلى ملك المغرب !

ولعل بعضنا يسمع لأول مرة أن النهروالى هذا هو الذى جمع ديواناً بكامله على شرف ملكٍ من ملوك المغرب المومموقين أثناء القرن العاشر الهجرى (٩٦٤ = ٩٨١) ، ويتعلّق الأمر بكتابه « التمثيل والمحاضرة بالأبيات المفردة النادرة » أهداه لملك المغرب فى نفس الوقت الذى أهدى فيه كتابه (البرق اليمانى) إلى السلطان سليم الثانى .. « جمع فى ذلك الديوان من الأبيات المفردة ما يَتمثل به فى المحاضر ويَتشهد به فى المحافل كلَّ مجالس ومحاضر[1] » .

سوف أترك الحديث المفصل عن هذا المخطوط إلى فرصة أخرى ، و سأقتصر هنا على ذكر الأسباب التى كانت وراء هذا التحوّل عما تعودنا عليه من لدن النهروالى فى حديثه عن بعض الجهات العربية فى المشرق .. لابدّ أن نعرف الأسباب سِيما والبعد بين النهروالى وبين العاهل المغربى شاسع :

هنا سأفتح معكم صِفحةً من صفحات تاريخ المغرب الذى يظلّ - كما أشرنا - مرتبطا بتاريخ المشرق ، نحن نعلم أن بلاد المغرب كانت فى

---

(١) أتوجد من هذا الكتاب نسختان بدار الكتب المصرية إحداهما نسخت عام ١٠٦٣ والثانية عام ١٢٧٥ وعنها صوّر الفيلم الذى حصلت عليه من لدن الزميل د . محمد بن عبد الرحمن الربيع مدير مركز البحوث لجامعة الامام محمد بن سعود . والكتاب عبارة عن طائفة من الأبيات الشعرية المفردة مرتبة على حروف العجم ، وفيها الكثير مما استشهد به (البرق اليمانى) كقوله :

إن الرجال صناديق مقفلة ... وما مفاتيحها إلا التجاريب !

وقوله :

وقالوا : المشيب وقـار الفتـى ... فقلت أصفعونى وردوا شبابى !!

صدر من أهتز طرباً لفتح القسطنطينية العظمى ، حيث وجدنا ملك المغرب يبعث بوفد للتهنئة أواخر عهد بنى مرين أوائل القرن التاسع ، بل وجدناه أيام حكم بنى وطاس فى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجرى يقبل ، تحت تأثير ضغط العثمانيين ، أن يذكر سلاطينهم على المنابر ، وينقش أسمائهم على سكّته على ما يذكره الزّيانى فى كتابه الترجمانة الكبرى[1] .

وسرعان ما ظهرت الدولة السعدية على بنى وطّاس فبدا ملكهم أبو عبد الله محمد المهدى الملقب بالشيخ كأقوى ما تكون الملوك ٩٥١ - ٩٦٤ - ١٥٤٤ - ١٥٥٧ .. وقد زاد من مركزه أنه استطاع أن يدحر البرتغاليين من عدد من الثغور المغربية فى الجنوب : فتح حصن فونُتِى وآسفى وأزمور وبنَى حصن أكَادير ..

وردت عليه من لدن الأتراك سفارة تحمل مراسلة السلطان سليمان القانونى تطلب إليه أن يدعو لسليمان على منابر المغرب وينقش اسمه على عملته كما كان بنو وطاس .. فماذا كان جواب محمد الشيخ لسليمان القانونى ؟

لقد كان الجواب هو ما رددته كتب التاريخ مما أثار حفيظة السلطان سليمان الذى بلغه أن العاهل المغربى نعته بـ « سلطان القَوارب » عندما أجاب البعثة هكذا : « لا أجيب سلطان القوارب إلّا إذا كنتُ بمصر » . !

---

(١) تتمة عنوان الكتاب : التى جمعت أخبار العالم برّاً وبحراً أو جمعت أمصار المعمور براً وبحراً . عبد السلام بن سودة ، دليل مؤرخ المغرب الأقصى ج ١ . دار الكتاب ، طبعة ثانية ١٩٦٥ ج ٢ ص ٣٣٨ .

ومن السهل أن نعرف المصير الذى كان ينتظره ملك المغرب محمد الشيخ الذى جرؤ على نعت السلطان سليمان القانوى بما نعته به ! كيف وهذا السلطان هو الذى كان يجيب ملوك أوربا على خطاباتهم بهذه العبارة التقليدية التى يصدّر بها كتبه : « تطارح كتابك أمام كرسى عظمتى الذى هو ملجأ العالم أجمع[1] !

فعلًا أرسل الأتراك « كومانضو » ورد فى صفة لاجئين فارّين .. حيث تمكنوا ذات يوم من قطع رأس الشيخ أبى عبدالله محمد المهدى وحمله مُملَّحاً فى مخْلاة إلى العاصمة العثمانية عام ٩٦٤ = ١٥٥٧[2] حيث ظلّ هناك معلقاً على باب القلعة عدة شهور قبل أن يوارى فى التراب بينما دفنت جثته فى مراكش !!

لقد ترك مصرع الملك الشهيد صدى عميقاً فى ديار المغرب وخاصة فى ابنه الامير عبد الله الذى تولى الحكم يحمل كنية أبى عبدالله ولقب الغالب بالله ..

وحتى يعمل المتآمرون على تنسية الأبناء مأساة الآباء تحرك الشيخ النهروالى ليقوم بتأليف ذلك « الديوان » الذى جمع فيه ، كما أشرنا ، طائفةً من الحكم الشعرية مرتبة على الحروف الهِجْائية ..

وهكذا فكما قام قطب الدين باهداء (البرق) إلى سلطان

---

(١) راجع جواب السلطان سليمان القانونى للملك فرانسوا الأول بتاريخ أوائل شهر آخر الربيعين سنة ٩٣٣ = ١٥ يناير ١٥٢٦ تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك المحامى دار الجيل ، بيروت ١٩٧٧ ص ٨٥ .

(٢) كان مما أثر عن هذا الملك المغربى العظيم قوله الذى يعتبر من قواعد السياسة : ينبغى للملك أن يكون طويل الأمل فإن طول الأمل وإن كانَ لا يحسن من غيره فهو منه صالح لأن الرعية تصلح بطول أمله . الاستقصاه ٥ ، ٣١ .

بمراد ربه ولا يتخطاه، المراعي جانب
العدل والاحسان فيمن استرعاه، امير
المؤمنين الغالب بالله مولاي الشريف
عبد الله ايد الله نصرته وادام ايامه
واظهر بشرفه شرف الاسلام واحترامه
وجعل الملك كلمة باقية فيه وفي عقبه
الى يوم القيامة. شعر

فلا زال محروس الجناب مؤيدا . بنصر عزيز ليس يخشى زواله
ودام له الاقبال حيث توجهت . ركائبه او حيث حط رحاله

والمامول من سدته الحسنية قبول هذه الهدية النملية فانه سليمان
عصرنا بلا مرية وبالله اعتصم عما يصم وبه استعين فهو خير معين

صورة لصفحة من الديوان

صفحة من المخطوطة النادرة التى ألفها النهروالى برسم العاهل المغربى أمير المؤمنين الغالب بالله مولاى الشريف عبد الله .. والمامول من سدته الحسنية قبول هذه « الهدية النمْلية » فإنه سليمان عصرنا ..

المشرق ، قام أيضاً بانجاز (الديوان) برسم سلطان المغرب !! والكلّ كان خدمة للباب العالى .. ولمصالح العثمانيين ..

أريد أن أضيف إلى هذا أن ديوان النهروالي لم يجد له صدًى فى المغرب ولدى الأدباء المغاربة بل إنه على العكس من ذلك فتح عيون المغاربة الذين ظلوا حذرين يقظين ولفترة تناهز ثلاثة قرون أو تزيد من كلّ ما يأتى من استنابول[1] !

ومن تتمة هذا الموضوع أن نردد هنا ما قاله التمكَروتى سفير السلطان أحمد المنصور وهو أحد أبناء الملك الشهيد - سفيره إلى القسطنطينية العظمى - .. قال فى إحدى إفاداته عن طرابلس الغرب التى كانت تابعةً للنّفوذ العثمانى أنذاك (٩٩٧ = ١٥٨٧) :

« وقد جار الترك على أهل تلك البلاد كثيراً وأفسدوها وضيّقوا على أهلها فى أرضهم وديارهم وأموالهم حتى استباحوا حريم المسلمين .. إلى غير ذلك من الذل والإهانة التى هم فيها معهم ، وهكذا أهل إفريقية كلهم ، فكان ذلك وراء الثورات على الترك .. تالله لقد كان من تحدثنا معه من خيار أهل تونس وأعيان مصر الذين لقيناهم بالقسطنطينية يبْكون وينتحبون »[2] . . !

---

(١) كان أول ظهور الأتراك بالأندلس فى الغرب الاسلامى منذ شوال ٣٣٠ هـ على ما يذكره ابن حيان فى (المقتبس) ، ولكن ظهورهم كمسلمين هو الذى كان بعد قيام الامبراطورية العثمانية وظهورها بالجزائر .. المقتبس : تحقيق شالميتا - مدريد - الرباط ١٩٧٩ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٢) كتاب النفحة المسكية فى السفارة التركية - تأليف : أبى الحسن على بن أبى عبدالله سيدى محمد الجزولى التمكَروتى : ترجمة وتعليق الكونط دوكاسترى (De Gastries) باريز ١٩٢٩ ص ٧١ - ٧٢ .

هذا إلى إفادة أخرى مُماثلة للسفير الزّاياتى سفير السلطان سيدى محمد بن عبد الله ..

فإذا أضفنا إلى هذه المرويات ما ورد عن الصوفى الشَّهير بالمغرب ، سيدى عبد الرحمن ابن المجذوب[1] ، اكتملتْ لنا الصورة فيما يتصل بالشعور السائد آنذاك ، مع الأسف ، بين الأتراك والعرب بسبب تلك الأفكار الغريبة على البِنْيَة الإسلامية !!

إنى أرجو بكلّ صدق أن لا يكون صنيع النهروالى مما يدخل فى اعداد تلك النعرة الجاهلية ! والّا فبماذا نفسر أطباق سائر المؤرخين سواء منهم العرب والعجم وسواء فيهم المسلمون وَالمسيحيون على عدم ذكر اسم ابن ماجدٍ كمرشدٍ ودليل لعناصر الإستغلال والدَمار فى المنطقة ؟

ابن ماجد القِمَّة العملاق الذى قدَّم النهروالى صورة عنه وكأنّه قزم يغطية العشب ! لقد تتبع النهروالى أخبار تحَرك الأتراك حتى تونس عام ٩٨١ = ١٥٧٣ وصحبهم فى مقارعتهم هناك ذاكراً أعداد قطع الأسطول العثمانى الراحل إلى القارة الأخرى : إلى تونس ، لكنه ظهر وكأنه لا يعرف شيئاً عن ليثٍ من ليوث البحر ومعلمةٍ من معالم الأسطول نشأ وعاش وتوفى على مقربةٍ منه !

---

(١) كان مما قاله :

يا سايلنى على القرن الثلتعش	أكحل مافيه إمارة !
الكسوة كسوة المسلمين	والقلوب قلوب النصارى !

يعنى من يسألنى عن القرن الثالث عشر .. ؟ إنه أسود ليست له علامة ، لا يتبين أوله من آخره ! كساء أهله ككساء المسلمين لكن قلوبهم قلوب النصارى !

De Castrie , S . I . H . M . Seri 2 P . 166 .

إن أقل ما يمكن أن ينعَت به كلام النهروالى حول ابن ماجد أنّه تعسف وظلم للتاريخ وتقصير فى حق شخصية شهيرة مرموقة عرفت بمدرستها وتلامذتها وتآليفِها التى كان النهروالى ، كما أرى ، فى صدر من استفادوا من تواريخها ..

لو كان النهروالى من مواليد هذا العصر لَشبهّته بمن حاولَ اغتيال شخصية كبرى وعندما يمثل أمام القضاء يعترف بأنه إنما كان يبحث عن شهرةٍ دولية لنفسه .. ! إن النهروالى ، مع تقديرىّ الكبير له ولماأنتجه ، لكن صيته كان سيبقى مقتصراً على عانَمه ، أما وقد انفرد وحده دون باقى مصادر الدنيا بخبرٍ يمس تحرك أكبر امبراطورية مسيحية على ذلك العهد لاغراضٍ صليبيّة وتحقيق أطماع مادّية ، فلابدّ وأن يصبح اسمه معروفاً على صعيد الموسوعات العالمية والأبحاث الأكاديمية !

لقد كنت أتصوّر بادىء الأمر أن قولة النهروالى ناشئة عن تساهل غير مقصود .. إننا كثيراً ما نلاحظ أن الناس إذا ما سمعوا بيت شعرٍ فى الفخر نسبوه إلى المتنبى .. وإذا سمعوا عن شعر غزل رقيق نسبوه إلى مجنون ليلى ، وإذا سمعوا عن مُجُون واستهتارٍ نسبوه إلى أبى نواس ! فقلت ربما كان الأمر يتعلق بالبحث عن إسم الملّاح الماهر الذى استعان به الفرنج ، فوقع سهمه على « الشخص الشهير الذى يقال له أحمد ابن ماجد[1] !! لكننى بعد أن قابلت الإفادات التاريخية الدّقيقة التى ذكرها النهروالى ، أخذتُ أعتقد أن النهروالى كان على حد التعبير القائل : « يأكلون خَيْرَهُ ويَعْبُدُون غَيْرَهُ » !!

---

(١) يذكر المؤرخ البريطانى تيبيس (Tibbetts) أنّ شهرة ابن ماجد كانت تعادل شهرة الملاح اليونانى الذى يسمى هِيبّالوس (Hippalos) أو البحار المعروف فى القرن التاسع عشر جوهن هاميلتون (John Hamilton)

Tibbetts : Arabe Navigation P . 10

ابن ماجد والتراث المغربي :

إن إحدى المخطوطات المغربية التي تعتبر من أهم وأدقّ المخطوطات العلمية للشيخ الإمام الأوحد أبي علي الحسن بن علي بن عمر المراكشي إنما يعرفها المغاربة من خلال ما كتب الناس عنها في كتب المجاميع والفهاريس .. ولكنها وجدناها في متناول ابن ماجد العلّامة الفحل الذي كان يبحث عن كلّ ما يقوي ثقافته البحرية غير متردّد في المقارنات والمفارقات بين هذا النص أو ذاك ، وهكذا فعلاوةً على توفّر ابن ماجد على كتب ابن سعيد المغربي وإفادات المعلم عبدالعزيز بن أحمد المغربي والنّاخُذَا ابن أبي الفضل[١] ، وجدناه يقتبس أكثر من مرة من مخطوطة أبي علي المراكشي المسماة : جامع المبادىء والغايات في علم الميقات ، التي يقول عنها حاجي خليفة في كشف الظنون .. إنها أعظم ما صنف في الفن ، كما يقول عنها سيديو (Sédillot) إنها أقوى كتاب رفع مكانة العرب العلمية[٢] .

---

(١) المعلم ج معالمة : (قابطان السفينة) ثاني رجل على المركب بعد النّاخُذَا : مالك السفينة وهذا من أصل فارسي : ومن القول السائر : (نأخُذَا ولا كابن ماجد) الفوائد ص ١٥ - ١٦ .

(٢) كنت أثناء سفارتي ببغداد علمت بوجود نسخة من هذا المخطوط بخزانة الأستاذ العزّاوي وحاولت عبثاً الحصول على صورة منها وهي التي صارتْ إلى مكتبة المتحف العراقي ، نسخها حمزة بن محمد المحمود الهرمزي سنة ١٠١٩ = ١٦١٠ .

(أسامة ناصر النقشبندي - ظمياء محمد عباس : مخطوطات الفلك والتنجيم - دار الرشيد بغداد ١٩٨٢ ص ٥١ - ٥٢ - وقد وقفت (١٩٨٤) في الخزانة الوطنية بباريز على هذه المخطوطة تحت رقم ٢٥٠٧ - ARABE

Traitè des Instruments : Astronimique des Arabes composè au treizième siècle par Aboul Hassan 'li de Maroc , Paris .

صورة من الورقة الأولى للجزء الأول من كتاب (جامع المبادىء والغايات) تأليف أبى الحسن المراكشى الذى اعتمده ابن ماجد . (عن المخطوطة الوحيدة بالخزانة الوطنية بباريز) .

صورة من الورقة الأولى للجزء الثانى من كتاب (جامع المبادىء والغايات) عن المخطوطة الوحيدة بالخزانة الوطنية بباريز .

واجمعهما على ما تقدم فما حصل فهو المطلوب وان كان الماضي من التاريخ العربي
اقل من سنة صيره اياما وزده على الاصل فما اجتمع فهو المطلوب وان كان الماضي
من التاريخ العربي اكثر من الف سنة تقريبا مثل ان يكون الفا وخمسين فخذ ما

جدول استخراج التاريخ الرومي من التاريخ العربي والتاريخ العربي من التاريخ الرومي

مجموعة	سنون	أيام	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٣٠	٩٦١	٣٢٥	مه	ا	٣	٣٥٤	كد	١	٣٠
٦٠	٩٩٠	٣٦٤	ل	ب	٩	٣٤٣	كط		
٩٠	١٠٢٠	٣٨	[illegible]	م	ب	٣٣٢	لو	٢	٥٩
قك	١٠٤٩	٧٦	مه	د	ح	٣٢١	مح		
قن	١٠٧٨	١١٥	ل	٥	د	٣١٠	ن	٣	٨٩
قف	١١٠٧	١٥٤	سه	و	٥	٢٩٩	نز		
رك	١١٣٦	١٩٣	سه	د	و	٢٨٩	د	٤	١١٨
رم	١١٦٥	٢٣١	مه	ح	ل	٢٧٨	يا		
رع	١١٩٤	٢٧٥	ل	ه	ح	٢٦٧	يح	٥	١٤٨
ش	١٢٢٣	٣٠٩	سه	يا	ط	٢٥٦	كه		
شل	١٢٥٢	٣٤٨	سه	يا	ب	٢٤٥	لب	٦	١٧٧
شس	١٢٨٢	٢١	ل	ب	يا	٢٣٤	لط		
شص	١٣١١	٦٠	مه	ج	س	٢٢٣	مو	٧	٢٠٧
تك	١٣٤٠	٩٩	سه	ل	ج	٢١٢	نج		
تن	١٣٦٩	١٣٧	مه	ه	يد	٢٠٢	ن	٨	٢٣٦
تف	١٣٩٨	١٧٦	ل	يو	يه	١٩١	[illegible]		
ثي	١٤٢٧	٢١٥	مه	ير	يو	١٨٠	يد	٩	٢٦٦
ثم	١٤٥٦	٢٥٤	سه	يح	ير	١٦٩	ى		
ثع	١٤٨٥	٢٩٢	مه	يط	يح	١٥٨	كح	١٠	٢٩٥
خ	١٥١٤	٣٣١	ل	ك	يط	١٤٧	له		
خل	١٥٤٣	[illegible]	[illegible]	يا	ك	١٣٦	مب	١١	٣٢٥
خس	١٥٧٢	٣٤	مه	كا	يب	١٢٥	مط		
خص	١٦٠٢	٨٢	ل	[illegible]	كب	١١٤	نو	١٢	٣٥٤
ذك	١٦٣١	١٢١	مه	[illegible]	كج	١٠٤	ج		
ذن	١٦٦٠	١٦٠	سه	كه	كد	٩٣	ي	[illegible]	[illegible]
ذف	١٦٨٩	١٩٨	مه	كو	كه	٨٢	يز		
[illegible]	١٧١٨	٢٣٧	ل	[illegible]	كو	٧١	كد		
		٢٧٦	مه	[illegible]	كز	٦٠	لا		
			سه	كه	كح	٤٩	لح		
						٣٨	مه		

صورة لجدول من كتاب (جامع المبادىء والغايات) لاستخراج التاريخ الرومى من التاريخ العربى والعكس . ويلاحظ أن الأعداد لم ترسم بالارقام الغبارية (أى العربية المعهودة فى المغرب الأمر الذى دلنا على أن الكتاب منسوخ على الطريقة المشرقية .



ومن هنا فإن تقديرنا ، نحن المغاربة ، لابن ماجد تقدير نابع عن إيمان واقتناع بأن الرجل لم يكن ، كما تصوره النهروالى ، مرشداً عاديا ، ولكنه كان أرفع وأسمى من ذلك ، إنه العربى الشّهم الذى سلط صاب علقمه ولومه وتقريعه على أولئك المارقين الفجرة ، ليس فى بلاد المشرق وحدها ولكن ببلاد المغرب والأندلس ..

وهناك وشيجةً أخرى تربط المغاربة بابن ماجد علاوةً على اعتزازهم بتزكيته لتراثهم ، تلك أنهّ يلتقى معهم فى الشيخ الذى كانوا يقتدون به فيما يتعلق بركوب متن البحار ! أو لم نسمع ولم نقرأ عن الإمام أبى على الغمارى الشاذلى الذى أخذ بفاس عن ابن حرزهم قبل أن تدركه وفاته بالمشرق عام ٦٥٦ - ١٢٥٨ والذى طبقت شهرته الآفاق : كان مرجعاً لعدد كبير من الأقطاب والرواد فى ديار المغرب والمشرق ..

هذا الرجل هو الذى وضع لتلامذته ورداً خاصاً كانوا يتيّمنون بذكره كل صباح قبل أن يخرجوا من بيوتهم لعملهم اليومى فسمى « حزب البر » ، ثم بعد أن أخذ يخوض غمار الجهاد عبر البحار أنشأ لتلامذته ورداً ثانياً عرف فى كتب التاريخ باسم « حزب البحر » .. كانوا يقومون فيه بتوسلات خاصة وأدعية معينة ، فيها ما كان يتصل بالتحصن والتعوذ من القراصنة الكفار الذين كانوا يسطون على ركاب السفن إلخ ... المهم أننا اكتشفنا من خلال كتب ابن ماجد جانباً هامّاً من جوانب حياته ، ذلك أنه كان متصوفاً ... حيث رأيناه يحض تلامذته البحريين على « عدم ترك حزب البحر » كما تشير إليه الفائدة

الثامنة من كتابه الفوائد[١] .

إن هذه لقطة تاريخية من حياة ابن ماجد تعطينا من جهة أخرى صورة عن تعمُّمِه بأرفع العمائم وانتعاله أحسن النعال وتبخره بالعود القُمَارى وتضميخه للحيتة وثوبه بالزَّبَاد الحبشى وولوعه بتناول البنّ على ما كانت عليه عادة معاصرة الشيخ العيدروس الشاذلى[٢] .

ولعلّ من الطريف والمهم كذلك أن نعرف أن السلاطين فى المغرب كانوا يطلبون من الرؤساء البحريين أن يقوموا بذكر « حزب[٣] البحر » عندما يمخرون عباب الأمواج على نحو ما كان يفعله ابن ماجد مع تلامذته ..

(١) لقد فهم شوموفسكى من تأليف ابن ماجد لأرجوزةٍ برسم الإمام على كرم الله وجهه أنه كان شيعى المذهب .. وعندى أن هذا لا ينهض دليلًا على ما ذكر ... كتاب الفوائد فى أصول علم البحر والقواعذ ص٢٤٤ ثلاثة أزهار ص٩١ .

(٢) لابدّ أن نذكر هنا أن مخطوطة (السّفالية) بما صحبها من المعلقية والتائية تضمنت فى مكان على حدة بعض الأبيات للعيدروس الامر الذى يكشف عن صلة بينه وبين ابن ماجد .

(٣) على ذكر حزب البر والبحر .. أذكر هنا أن بعض الكتاب المعاصرين من الذين اشتهروا بكثرة الرحلات الجوية قاموا أخيراً بإنشاء حزب أطلقوا عليه « حزب الجو » - دعوة الحق عدد ٢٣٥ جمادى الثانية ١٤٠٤ = إبريل ١٩٨٤ - جريدة الانباء المغربية ٢ رمضان ١٤٠٤ = ٢ يونيه ١٩٨٤ .

inconsistency. Ferrand's article in the *Encyclopaedia of Islam* has resulted in Ibn Mājid, the author of the navigational treatises, being accepted as the same as Vasco da Gama's pilot. Shumovsky, in editing the poems of Ibn Mājid found in a manuscript in Leningrad, reiterates this statement stating confidently that Ibn Maj·d was the pilot and that the Leningrad poems show him lamenting his own stupidity for introducing the Portuguese into the Indian Ocean.

This theory needs a certain amount of revision. In the first place the Portuguese texts with the exception of Vasco da Gama himself who gives no nationality, all state that the pilot was a Gujerati Moor—and most of these texts were written some time after the event when the Portuguese might be expected to know the difference between a Gujerati Moor, a Malibari Moor or an Arab Moor from the south Arabian littoral. The fact that his name (or title) was partly Arabic makes no difference, for we see from Mahmud Shah's shipping code[8] that the word *mu'allim* (as *malim*) is the usual word for pilot in Malay at this period so presumably it was used as such throughout the Indian Ocean. Admittedly Ibn Mājid bewails the arrival of the Portuguese in his Leningrad poems, but in no case does he place the blame on himself; the arrival of the Portuguese was just part of God's will, an event to bewail, not an event to curse himself for as Shumovsky would have us believe. We are left with Quṭb al-Dīn's mention of Ibn Mājid by name, and the story of his drunken spree with the Portuguese Admiral. "The story of the intoxication", says Ferrand, "seems to be a complete invention; it seems that it was a pious fiction intended to excuse an action which the Muslims of Mecca where Quṭb al-Dīn lived must have regarded as treachery".[9] He thinks it more likely that Ibn Mājid gave information in return for money given by the Portuguese or the King of Malindi as the Portuguese accounts state. Intoxication to a Muslim can hardly excuse a treachery; it is more likely to be a further insult to the name of Aḥmad ibn Mājid. Quṭb al-Ḍīn is only a generation or so away from Ibn Mājīd's time and one wonders if it is not some personal or family reason which makes him place Ibn Mājid's name in this place of shame. Perhaps this is a deliberate piece of libel written out of spite. On the other hand Ibn Mājid's fame as a navigator may have already caused his name to be used generally for the name of an unknown pilot much as Hippalus appears in Greek times or "John Hamilton" in the 19th century. This latter fact I feel unlikely—Ibn Mājid's fame was already great by this time (1550) among navigators, but it is doubtful whether it was

[8] cf. Ferrand: *Instructions nautiques* v. 3, pp. 178–80, and below p. 62.
[9] *Encl. Islam*, Shihāb al-Dīn, v. 4, p. 362.

صورة لصفحة من كتاب تيبيتس

صفحة من البحث القيّم الذى حرّره ج . ر . تيبّتس (G . Tibbetts) فى كتابه البحرية العربية فى الأقيانوس الهندى قبل مجيىء البرتغال وقد طبع لثانى مرة فى لندن ١٩٨١ .

هذا مثل من الأمثلة الماكرة العديدة .. التى يمكن أن تتجدّد من جهةٍ إلى أخرى ..

وفيما يتعلق بآسيا وبلاد الخليج يمكن أن نجد - بل اننا قرأنا فعلًا فى الأرشيف البرتغالى ما مكّننا من بعض الوسائل الشيطانية المستعملة علاوة على قوة الحديد والنار .. ولكن ذلك الأرشيف الطويل العريض لم يستطع أبداً كما قلنا مراراً وتكراراً أن يلفظ باسْمٍ يحمل إسم أحمد بن ماجد .. أنه بعد ترجمة أعمال بارّوش مثلًا لم يبق مجال للالفتات إلى ما زعمه النهروالى حول من سماه « شخص يقال له ابن ماجد » !

مع ج . فيرّان

إن قصة النهروالى لم تكن لتعنينا - كسائر الترّهات المماثلة - لولا أنها أدت إلى مضاعفات كانت تمس بجانب من جوانب تراثنا علاوة على ما يتبين يوماً عن يوم من أنها هفوة لا تقوم على أساس !

إن أحداً لا ينكر ما قام به بعض المستشرقين من خدمات جُلّى لصالح المعرفة ولخير البحث وازدهاره على العموم ، ومَا كان لهم من فضل فى الكشف عن كثير من الحقائق الدفينة التى ظلت غائبة إلى اليوم .. ولكنا مع ذلك نرى من واجبنا أن نساعد هؤلاء بمساهمتنا فى حوارهم والتعقيب عليهم وتلقى رد الفعل منهم بما تقتضيه الحكمة وفصل الخطاب .

وقد كان فى أولئك السادة المستشرقين البروفيسور كَابرييل فيرّان (G . Ferrand) تـ ١٩٣٥ ، الذى لذّ له أن يهتم بتراثنا البحرى فى العصور الوسطى .. فكان ذلك فى صدر الأسباب التى دفعت

به لنفض غبار الخمول والنسيان عن شخصية شهاب الدين بن ماجد ، حيث وجدناه يقوم - مشكوراً - بتحقيق بعض أعماله الجليلة كما يقوم بنشر طائفة من البحوث التى تتصل به الأمر الذى كان داعياً لإلفات النظر إلى هذه المعلمة الفكرية الكبرى فى التاريخ العلمى للعرب والمسلمين[١] ..

بالرغم من أننى هنا لست بصدد استعراض كلّ ذلك الجهد الكبير إلا أننى لا أرى مناصاً من إثارة بعض ما يتعلق بابن ماجد[٢] ..

لقد وجد فيران فيما رواه النهروالى عن مساعدة البرتغال من لدن شخص يقال له ابن ماجد .. دلهم على الطريق وقد وجد فى هذا الخبر مادة خصبة .. وكان من السهل عليه أن يحدد - كما أسلفت - زمن المرافقة ابتداء من يوم ٢٤ أبريل ١٤٩٨ إلخ .. كما كان من اليسير لديه أن يجد إسم الميناء الذى تم فيه اللقاء .. إنه مالييندى .

---

(١) Relation de voyages et textes gèogratques arabes, persons et turkos relatif à l'Exterme - Orient du VIIe au XVIIIe siècles . Par G . Ferrand , I - II Paris 1913 - 1914 . Le Pilote arabe de Vasco de Gama et les instructions nautitiques arabes au XVe Siècle Anna - les de gèographie 1922 .

G . Ferrand : Shehab al - Din Ahmed b . majid T . IV , P . 375 - 1934 .

فيران جبرائيل : شهاب الدين أحمد بن ماجد ، دائرة المعارف الاسلامية ، طبعة أولى ، دار المعارف ، بيروت ، ترجمة الشنتناوى .

S .M aqbul Ahmed : Ibn Majid Encyclopèdia 1965 .

(٢) نصب نفسه كَابرييل فيران دركياً يصحح أخطاء المارة ! وهكذا وجدناه ينكر بكل بساطة أن يكون ابن بطوطة قد زار الصين نظراً لكون الرحالة المغربى ذكر مدينة قنجنفو (Qanjanfu) التى لم يستطع فيران تحديدها !

Voyges d ' Ibn Battuta , Paris T . 4 , P . 279 - 477 .

وبقى فقط أن يذكر الوسيلة التى استْدعى بها ابن ماجد للحضور إلى مالينىدى .. هل مركب مستعجل راح إليه ؟ أم حمام زاجل طيّر إليه ؟!

(يُذكر أن زوجاً أراد أن يختبر قوة زوجته على كتمان السر .. فأسرّ إليها ذات صباح أنه ولد غراباً ، ورجاها أن لا يتعداها هذا الخبر .. فما كمل يومها حتى أخبرت جارتها بأمر الغراب الذى تحول إلى غرابين .:. وقد تحدثت الجارة لصديقة لها عن ثلاثة أغربة .. إلى أن عادت القصة إلى الزوج وهى تتحدث عن رجلٍ فى البلدة ولد مائة غراب !! تِلكم قصة فيران مع النهروالى) .

وهكذا فرضوا على ابن ماجد أنه أصبح مرشدا لفاسكو دى كَاما ! ومع أن حديث ابن ماجد ، عن المَرَقَة الفجرة من المحتلين معروف على ما سنقرأه فى أرجوزة « السُّفالية » .. فهل يسمح أحد منا لنفسه أن يتصور أن إباء وشهامة ابن ماجد كان دون إباء وشهامة حاكم الموزامبيق الذى رفض مساعدة فاسكو دى كَاما لما اكتشف أنه غير منتم للأسرة الإسلامية.سيما مع ما علمناه سلفاً من إمكانية انتماء ابن ماجد للسادة الشاذلية وهم معروفون بعدم خضوعهم للجبروت .. !

وقد ورد المستشرق الروسى ثيودور شوموفسكى (Shumovsky) — بعد فيران — ليقرر ما قاله سلفه . وليطلع إلينا عام ١٩٥٦ —

مشكوراً - بتحقيق مخطوطة بعنوان : « ثلاث رَاهْ نامْكَات[1] المجهولة » كان شيخه ، أى شيخ شوموفسكى[2] ، يعتزم على نشرها ، وقد أبى إلا أن يصحب اسمه - تقليداً لفيرّان - فى عنوان الكتاب بنعت كأنه كان لديه ضمنَ صفات الحالة المدنية !! هذا النعت هو : ابن ماجد ربان رحلة فاسكو دى كَاما .. أثبتها بأحرف بارزة ، مباشرةً مع عنوان الكتاب !!

وإن مثل هذه الفلتات لتؤكد حقّاً ما ورد على لسان ثيودور نفسه أنه لم يحلّل موضوع الأراجيز تحليلًا كاملًا وإنما قصد أن يدفع بالبحث خطوة إلى الإمام ، أى إنه شعر بأن مجهوده كان ناقصاً وهو ناقص بالفعل كما سترى[3] ..

والأغرب من هذا أن يتصدى بعض الكتاب المسلمين للحديث عن ابن ماجد هذا فيزيدوا - تقليداً للمستشرقين - من إحكام الصلات بين ابن ماجد وفاسكو دى كَاما ! ويُمعنوا فى تعدد الجلسات وتبادل المعلومات والمناقشات مع إغفالهم بعض الملاحظات الأساسية .

---

(١) أى مرشدات بحرية أى خريطة أو دليل الطريق .. وتتمة العنوان : لأحمد بن ماجد ربان رحلة فاسكو دى كَاما ، وهى مأخوذة من النسخة العربية الفريدة التى توجد فى مكتبة معهد الاستشراق عُنِىَ بنشرها وتحقيقها وترجمتها إلى اللغة الروسية ووضع لها الفهارس ثيودور شُو موفسكى ، طبع بمطبعة المجمع العلمى للاتحاد السوفياتى موسكوف ١٩٥٧ ، لينغراد ، المجمع العلمى العراقى ، بغداد . ثلاث أزهار فى معرفة البحار لأحمد بن ماجد ، ملاح فاسكو دى كَاما ، تحقيق ونشر ثيودور شوموفسكى ، ترجمة وتعليق الدكتور محمد منير مرسى ، نشر (عالَم الكتب) - القاهرة .

(٢) كراتشكوفيسكى : الجغرافيون والرحّالة العرب ، مع المخطوطات العربية طبعة ١٩٦٣ - دار التقدم - موسكو ص ١٨٠ . ١٩٣٧ ، ص ٧٣٨ ٧٦٥ .

(٣) ثلاث أزهار ص ٧٦ .

لقد قرأت بتقدير كبير ما كتبه الزميل الأستاذ مقبول أحمد عن ابن ماجد فى دائرة المعارف الاسلامية فى طبعتها الجديدة .. إلا أننى ما أزال أعتقد أن استفادته من « السُّفالية » تظل محدودة وفى دائرة الاستفادة التى رددها شوموفسكى !

وهكذا فبالرغم من إشارته لما قاله ابن ماجد فى « السُّفالية » عن أحداث عام ٩٠٠ - ١٤٩٥ لكنه لم يدقق فى أحداث السنتين التابعتين .. كما أغفل - وهذا مهم - التساؤل عن سكوت ابن ماجد عن سنة ٩٠٣ - ١٤٩٨ التى تميزت بوصول فاسكو دى كَاما .. وهذه ملاحظات أساسية بالنسبة لموضوع صلة ابن ماجد بالبرتغاليين[١] ..

وقد اعتقد « اللذون » ساروا فى هذا الرّكب ، اعتقدوا أن فى تريده هذه الاسطورة من أساسها « تشريفاً » لسمعة العرب وبُعد صيتهم فى الملاحة البحرية فعمدوا إلى إطراء ابن ماجد والاشادة بذكره باعتبار أنه لو لم تكن ارشاداته « لما عرفت أوربا طريقها » .. وهكذا فهو أحرى بلقب مكتشف طريق الهند[٢] » !

ولم يتردد د . أنور عبد العليم فى القول بأن حكومة البرتغال أقرت بهذا الفضل للملاح العربى ابن ماجد فأقامت له فى مالیندی بكينيا نصباً تذكارياً يخلد هذه الواقعة . (مجلة تراث الانسانية بتاريخ ٥ أبريل ١٩٦٧) .

---

(١) S . Maqbul Ahmed : IBN MADJID Ency . de l 'Islam 2e èdition .

(٢) خير الدين الزركلى نقلًا عن مجلة المجمع العلمى اللغوى : أنظر الاعلام .. والجزء الثانى المستدرك منه .

ومن الفكاهة أن الأستاذ على التاجر - وهو يردّ على د . أنور عبدالعليم فيما يتصل بهذا النصب ، قال : ان التمثال هو لعيسى بن طريف . (مجلة العرب ، الحلقة السادسة ١٣٩١ - ١٩٧١) .

والذى نراه صحيحاً - بعد أن وقفنا على صور هذا النصب ، أنه لا صلة له ألبتة بابن ماجد ، وإنما هو نصب على شرف فاسكو دى كَاما ! ويحمل فى أعلاه - كما هو واضح - شعار البرتغال ، والكل داخل صليب على ما نراه فى الرسم :

وهكذا فليس للنصب صلة بابن ماجد ولا بعيسى بن طريف !!

لقد دغدغ ذلك الكلُام بعضَ الناس بل سحرهم فأخذوا به وعادوا يرددون « دور العرب الريادى فى خدمة البحرية والحضارة الإنسانية » .

وكأنه لم يبق للعرب فى اللائحة الطويلة العريضة لتاريخهم العلمى والحضارى[١] وفى تجربتهم البحرية الواسعة إلا ذكر ابن ماجد كمرشد لدى كَاما [٢]

تحضرنى هنا قولة لأحد رجال الفكر المعاصر : « **ويل لأمة يكتب تاريخها مستعمروها** » ! فعلًا إذا ما خول للمستعمر أن يكتب

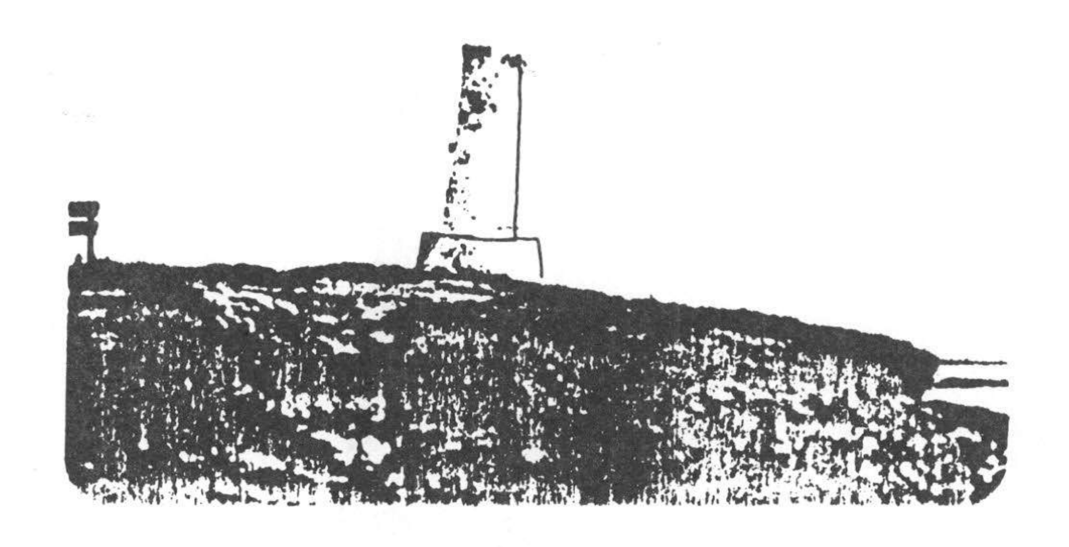
---

(١) أغتنم هذه المناسبة لأشكر الزميل الدكتور أوباديا م . ويناينا (OBADIAH M . Wainaina) على المساعدة التى قدّمها إلى من نيروبى (كينيا) .

(٢) د . سزكين : محاضرات فى تاريخ العلوم العربية والاسلامية ١٤٠٤ = ١٩٨٤ تاريخ العلوم العربية والاسلامية = فرانكفورت .



الصورة الكاملة للنصب الذى أنشىء تخليداً لوصول فاسكو دىَ كَاما إلى ماليندى .



صورة النصف الأعلى للنصب الذى أنشىء تخليداً لوصول فاسكو دى كَاما إلى ماليندى

تاريخنا فستكون الكارثة على أجيالنا السابقة واللاحقة ، فإن المستعمر لا يهمه منك ومن تاريخك إلّا مايعزّز وجوده .

أمامى الآن عشرات بل مئات من أيامنا المحجلة التى تنقلب فى نظر الباحث الأجنبى إلى أيام انهزامية استسلامية كئيبة ، أمامنا الآن قمم من الفهم والإدراك والمبادرة والإبتكار تستحل فى نظر بعض الأجانب إلى سقط متاع لا يذكر ولا يعرف .. !

صدرت فى هذه الأيام موسوعة تحمل أسم **موسوعة البحر** .. خصصها المؤلفون الذين أشرفوا على انجازها ، لكل مايتصل بالبحر مما يمس المراكب والسفن ورجالها منذ العهد القديم إلى عالمنا الحاضر ، فهل كان فيها ذكر لأى ملاح عربى ؟ وهل كان فيها ذكر لأىّ أسطول من أساطيل المسلمين التى انطلقت فى العصور الوسطى عبر البحر المتوسط .. وعبر المحيط الهندى لترحل بعيداً حتى الشرق الأقصى .. ؟ أبداً ليس إلّا رجالهم وأبطالهم !

حول صلة ابن ماجد بالبرتغال :

والأن سأصل إلى العنصر الهام الذى كان وما يزال يهمنى أن أدلى فيه بدلوى مع الزملاء الذين سبقونى حول ماقيل إلى الآن عن **صلة ابن ماجد بالبرتغال** أو بالحرى عن مساعدته لهم فى النزول بالهند قبل أن يقصدوا بطريقهم نحو ديار الخليج[1] ، وأعتقد أن النقاش الهادف هو الذى سيصل بنا فى الأخير لتنوير الرأى حول الموضوع : ويتعلق الأمر **بعنصر العمر المحدد** ، **عنصر التواريخ** المحكمة ، **وعنصر الأرقام**

التى لا تكذب .. بالرغم من أنه لم يعثر على تاريخ لمولد ابن ماجد ولا على تاريخ لوفاته فإنه ، مع ذلك ، ترجم لحياته – إذا صح التعبير – من خلال ما كتبه من مؤلفات وما نظمه من شعر ..

لقد اشتغلتُ ببعض الشخصيات الإسلامية من الأندلس والمغرب ، ممن لم يعرف لها وكذلك لا يوم بداية ولا يوم نهاية ، ولكنها أصبحت معروفة عبر ما حررته فى أثناء حديثها عن نفسها ، على نحو ما رأيناه فى المؤرخ الأندلسى المغربى عبد الملك ابن صاحب الصلاة[1] ..

كلّنا يعدّ لابن ماجد عشراتٍ من المؤلفات بلغت – كما قلنا – أزيد من خمسة وثلاثين .. كان فيها ما جهل تاريخ تأليفه لكن فيها ما كان معروف التاريخ ، وفى تلك الكتب ما كان يتناوله فيها الموضوع دون استطراد ولا استراوح ، ولكن فيها ما كان يعبّر عن مذكرات شخصية – إذا صح التعبير كذلك – أو آهةٍ من الآهات أو شماتةٍ من الشماتات .

ومن خلال كل هذا عرفنا عمر الرجل وعرفنا حجمه وأبعاده بما لا يترك مجالًا للشّك ، ومن هنا يصح القول من أن ابن ماجد اليوم غدا بالنسبة إلينا غير ابن ماجدٍ الذى استفاد منه النهروالى ثم قال عنه « شخص يقال له فلان » !

لقد رجح بعض الكتاب أن ابن ماجد ولد حوالى سنة ٨٣٥ = ١٤٣٢ .. وأنه أخذ بمقود السفينة صحبة والده منذ أن

---

(١) عبد الملك ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة على المستضعفين .. تحقيق د . عبد الهادى التازى ، المطبعة الأولى ، بيروت ١٩٥٤ – الطبعة الثانية بغداد ١٩٧٩ .

بلغ عمره السادسة عشر تقريباً وهو السن المناسب ليتوفر المرء على ثقافة أولية فى الدين والفقه والحساب ..

لقد اخترت هنا أن أرافق ابن ماجد وهو على ظهر المركب يحرر كتبه المفيدة من **التى تحمل تاريخاً لتأليفها**(١) قبل وصول البرتغال للمنطقة أولًا لأدّلل على أن ابن ماجد لم يكن مديناً لهم فى معلوماته ، وثانياً لأبرر مكانته كشخصية وليس هامشاً يبحث عن « المتعة والخدمة » !!

لقد كان منها أرجوزته التى تحمل إسم « حاوية الاختصار فى أصول البحار » وقد ألفها سنة ٨٦٦ - ١٤٦٢ وهو ابن حوالى ٣٠ عاماً تقريباً ، قبل وصول فاسكو دى كاما للمنطقة بـ ٣٧ عاما ..

وهذه الأرجوزة تحتوى على أكثر من ألف بيت وهى تشتمل على أحد عشر فصلًا فى العلامات التى يجب على الربابنة معرفتها استدلالًا على قرب البر ، وعن القمر ومهاب الرياح وعن السنة الهجرية والرومية والنبطية والفلرسية وعن الرياح الموسمية وأزمنة هبوبها وسكونها وعن طريق سير السفن على ساحل العربية والحجاز وسيام ،

(١) كان من تأليفه التى لا تحمل تاريخاً : أرجوزة فى معرفة القبلة ، سماها : « قبلة الاسلام فى جميع الدنيا » فى نحو خمسمائة بيت - وأرجوزة فى مائة بيت حول بر العرب فى الخليج الذى يفصل بينهم وبين بلاد فارس وأرجوزة من ٢٥٥ بيت فى ذكر المراسى على ساحل الهند الغربية وفى بعض السواحل العربية .. وأرجوزة من ٤٨ بيت برسم على بن أبى طالب فى منازل القمر وحقيقتها فى السماء ، وقصيدة من ١٧٢ بيت اسمها المكّية تغزل فيها بأهل مكة ، وأرجوزة تحمل اسم (البليغة) فى مراقبة بعض النجوم ، وتسعة فصول نثرية فى المارزا (MARIZA) وأرجوزة من ٣٣ بيتا فى موضوع علم الفلك ، وقصيدة من ١٥٥ تحمل اسم الهادية ، وقد نقل الاستاذ عبد الله الماجد عن كتاب مخطوطات الموصل أسماء كتب أخرى له .

وشبه جزيرة ملَّاقة (معلقة) وأطراف بلاد الزنوج وعن سواحل الهند الغربية ، وساحل القُمْر ومندل والناط والبنغال وسيام حتى جزيرة بليطون وجاوة والصين وفرموزة ، وفى سير السفن على سواحل جزر جاوه وسومطره والغال ومدغسكر واليمن والحبشة والصومال وجنوبى العربية والمقران ، وفى المسافات بين الثغور العربية والثغور الهندية وفى عرض الثغور الموجودة على البحر الهندى[1] .

ولقد كان من مؤلفات ابن ماجد المدقَّقة التاريخ أرجوزته **السبْعية** من ٣٠٥ بيت ، سماها كذلك لأنها تضمنت سبعة علوم من علوم البحر غير الفراسة .. وقد أتمها وهو جُلفار عن عُمَان وكان ذلك أى الاتمام بالضبط يوم ١٨ من ذى الحجة نفس السنة ٨٦٦[2] = ١٣ شتنبر ١٤٦٢ . أى ٣٧ عاماً كذلك قبل وصول دى كَاما إلى المنطقة كان ابن ماجد على ذلك المستوى من المعرفة .

وقد اختفى نشاط ابن ماجد فى التأليف **زهاء ربع قرن** لتظهر لنا من مؤلفاته المؤرخة عام ٨٩٠ = ١٤٨٥ أرجوزته من نحو مائتى بيت

---

(١) عبد الله الماجد : الربان النجدى أحمد بن ماجد : مجلة العرب ، السنة الثالثة ج ١ رجب ١٣٨٨ تشرين الأول ١٩٦٨ .

(٢) كان هذا التاريخ يوافق اليوم الذى حدثت فيه الواقعة التى يعتمد عليها الشيعة حول : هل أوصى النبى ﷺ إلى على ؟ ولقد كانت بتاريخ ١٨ ذى الحجة من السنة العاشرة للهجرة ، وقد عرفت بواقعة غدير خم .. ويمكن أن يتساءل هنا عن سر اهتمام ابن ماجد بهذا اليوم بالذات ، وهل أن الأمر يتعلق حقيقة بميول شيعة .. الأمر الذى قيل أيضا بمناسبة نظم أحمد بن ماجد لأرجوزة برسم الامام على ، لكن الذى نتلمسه من خلال ميل ابن ماجد للشاذلية لا يحملنا على مسايرة هذا الرأى على نحو ما علقنا به على توصية ابن ماجد للبحرين بتلاوة حزب البحر .

د . أحمد محمود صبحى : نظرية الامام ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ ص ٢١٠ وما يليها .

وهى تحمل إسم « المُعرِبَة » لأنها عربت الخليج البربرى وصححت قياسه من حانوقى إلى باب المندب تتعلق ، كما نرى ، بالملاحة فى خليج عدن .

وهذه الأرجوزة أيضا قبل وصول فاسكو دى كَاما بنحو من ثلاثة عشرة سنة ، وقد ألفها وهو ابن خمس وخمسين سنة . لاحظوا أن القِمَّة تزداد يوماً عن يوم شموخاً وعلواً ..

وقد كان من مؤلفاته عام ٨٩٣ = ١٤٨٨ القصيدة المعروفة بـ « الذهبية » وهى أرجوزة من ١٩٤ بيتاً عن الصخور البحرية وعن الأعماق وعن علامات الوصول إلى البر .. وهى أيضاً منجزات ابن ماجد قبل وصول دى كَاما بنحو عشر سنوات ، وسنه ثمان وخمسون سنة ، وقد عرفت له سنة ٨٩٤ = ١٤٨٩ ثلاث مؤلفات[١] :

أولًا : أرجوزة من ٦٤ بيتاً تحت إسم (ميمية الأبدال) فى فائدة النجوم الشمالية عند سير السفن .

ثانياً : أرجوزة من ٢٣ بيتاً فى عدة الشهور الرومية .

ثالثاً : قصيدة باسم « كنز المعالمة ودخيرتهم » فى علم المجهولات فى البحر والنجوم والبروج وأسمائها وأقطابها وهى من البسيط .

(١) كانت هذه السنة تصادف معركة حاسمة بين المغاربة والبرتغاليين تحمل إسم وقعة جزيرة « المليحة » La Graciosa أو وقعة وادى المخازن الصغرى كما أسميتُهَا ، حيث ضرب المغاربة سدّاً على البرتغاليين المتسربين إلى البلاد ففصلوا بينهم وبين المحيط مما اضطر ملك البرتغال لطلب الهدنة ! وهذه غير معركة وادى المخازن الشهيرة ٩٨٦=٥٧٨ التى كان فيها مصرع ملك البرتغال .

د . عبد الهادى التازى : وقعة وادى المخازن الصغرى .

وزارة الشؤون الثقافية : ندوة العرائش غشت ١٩٨٣

يا أيها الناس مهما شئتم قولوا　　الأرض معلومة ، والبحر مجهول !

وكلّ هذه المؤلفات كانت قبل وصول دى كَاما **بتسع سنوات** وسنه تسع وخمسون .

وأن من أبرز مؤلفاته النثرية كتاب الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد .. وقد ألفه كما هو معلوم سنة ٨٩٥ = ١٤٩٠ ويتضمن البحث، عن أصول الملاحة وحجر المغناطيس ومنازل القمر والنجوم التى تقابل أقسام الابرة المغناطيسية الاثنين والثلاثين ، وعرض بعض الثغور الموجودة على المحيط الهندى والبحر الصينى ومراحل ساحل الهند الغربية والجزر العشر الكبرى المشهورة وهى : جزيرة العرب ، جزيرة القمْر ، وزنجبار ، وجزيرة البحرين .. إلخ .. وبعد أن يتعرض لذكر الرياح الموسمية فى المحيط الهندى يصف البحر الأحمر بالتفصيل : مراسيه وأعماقه وصخوره الظاهرة والخفية .

وهذا الكتاب الذِّرْوة - كما ينعته فيران - ألفه أحمد بن ماجد ، ثمان سنوات ، قبل وصول فاسكو دى كَاما إلى المنطقة أى عندما بلغ سن الستين .

وتجدر الإشارة إلى أن ابن ماجد أخذ يشعر وهو يؤلف كتابه : « **الفوائد** » بأن الشمس على أطراف النخيل ، أى أنه بصدد الوداع : « نخاف أن يدركنا الموت ونوادر الحِكَم فى القلوب » على حدّ تعبيره .. يضاف إلى هذا ، الشعور باكتمال مهمته وإيمانه بأنه قد بذل جهده فيما يعرف وأن على الذين يأتون من بعده أن يقوموا بدورهم فى البحث ، على نحو ما قاله مؤلفون أكفاء من قبله ، أمثال الحموى وابن خلدون .. قال ابن ماجد : « وهذا حساب خفى قد وقّعته ولم أدر

من يباحثني فيه إلى الغاية ولعل بعدى يأتى من يباحث، فيه[١] » ..

ثم كانت قصيدته من ١٩٣ بيت بعنوان « ضريبة الضرائب » التى تضمنت بعض الاشارات الهامة التى أذكر منها : أولًا : أنها نظمت عام ٩٠٠ - وهو من خمس وستين سنة - وثانياً : وهو مهم ، الاعراب عن أمنيته فى أن يحقق النذر الطى أوجبه على نفسه .. والذى لم يكن يقصد به ، وفيما يبدو ، غير زيارة الحرمين الشريفين مرة أخرى .
أنا فرحتى فى ليلة قد ترتبت كأنى أعطيت المنى ليلة القدر
مهذبة فى (تسعماية) قد أتت إذا هى تمت وفّيت لها نذرى !

وفى هذه السنة أيضا ٩٠٠ = ١٤٩٥ كانت أرجوزته حول السير فى البحر ، وهى من ٢٣٣ بيت وقد أنجزها كذلك قبل أن يصل دى كَاما المنطقة بنحو من ثلاث سنوات .

ولم تسجل الأيام لابن ماجد بعد هذين المؤلفين اللذين صادف تاريخهما بلوغ سن الخامسة والستين ، أقول لم تسجل له غير بعض الأعمال القليلة : منها الأرجوزة التى تحمل إسم « المخمسة » التى ألفها وهو ابن إحدى وسبعين سنة عام ٩٠٦ = ١٥٠٠ - ١٥٠١ وهى من واحد وخمسين بيتاً من الرجز المخمس وتتضمن ذكر الكواكب المفيدة للملاحين فى سيرهم .

ويبقى علينا أن نذكر من أعماله التى حملت هذا التاريخ أعنى

---

(١) لقد وقفت فى الخزانة الوطنية بباريز (٢٣/١٠/١٩٨٤) على مخطوطة الفوائد (ARABE ٢٢ ٩٢) وضمنها مخطوطة الحاوية والمُعْرِبة وميمية الابدال إلخ .. وهى بخط مشرق إلا أن هناك تعليقات بالخط المغربى على الصفحة الأولى لكتاب الفوائد ..

كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد

تاليف رئيس علم البحر وفاضله

واستاذ هذا الفن وكامله

الشيخ شهاب احمد بن ماجد

السعدي رحمه الله وله تصنيف يسمى حاوية الاختصار

في اصول علم البحار

وارجوزة تسمى المعربة

وارجوزة في معرفة القبلة

وارجوزة بر العرب في خليج فارس

وارجوزة في قسمة الجمة على بنات نعش

وارجوزة المجهولات في البحر والنجوم

صورة للورقة الأولى من كتاب « الفوائد » مع الأراجيز الملحقة به تأليف شهاب الدين أحمد بن ماجد .. عن المخطوطة المحفوظة بالخزانة الوطنية بباريز ، ويلاحظ أن عنوان الكتاب بخط شرقي بينما نجد التعليق عليه بخط مغربي يشكل الفاء بنقطة من تحت والقاف بواحدة من فوق .

[illegible] ونصف قطب السهى ما خذ جبل الكحل [illegible]

ما خذ [illegible] قطب عدن وما خذ بين قطب العالم [illegible]

[illegible] ما خذ [illegible] والله اعلم بالصواب

تمت الفوايد والاراجيز المفيدة بحمد الله وعونه وحسن

توفيقه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على

سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

وحسبنا الله ونعم الوكيل

ولا حول ولا قوة

الا بالله

العلي

العظيم

صورة من الورقة الأخيرة للمجلد الذى يحتوى على كتاب (الفوائد) وبعض الأراجيز التى هى من تأليف ابن ماجد : وفيها (المعربة) وضريبة الضرائب ، والذهبية إلخ ..

٩٠٦ = ١٥٠٠ - ١٥٠١ : أرجوزته الشّهيرة المُعَنْوَنَة بإسم «السُّفالية» نسبة إلى سفالة[1] الافريقية ، وعدد أبياتها يتجاوز الثمانمائة بيت فى معرفة المجارى والقياسات من مليبار والسند إلى السيف الطويل ، ومنه إلى بلاد الزنج وأرض السفال والقمر وجزره إلى « آخر الأرض » من الجنوب .. وقد تعرض فيها لذكر السواحل والبلدان ومعادنها وثرواتها وعادات أهلها ..

يأتى فى سياق هذه الأرجوزة أرجوزة أخرى تحمل إسم (المعلقية) نسبة إلى معلقة : (ملّاقة) الأسيوية الماليزية ، تصحبها قصيدة بعنوان (التائية) .. وكلّ الثلاثة نشر تحت عنوان « ثلاث رَاهْ نَامْجَات » ، من لدن المستشرق الروسى شوموفسكى كما عرفنا .

وجدير بالذكر أن نلاحظ أن هذه الرانامجات علاوة على ما تحتويه من فوائد علمية لا غنى عنها لرجال البحر إلّا أنّها مع ذلك تتضمن **معلومات تاريخية ودلالات سياسية** فى منتهى الأهمية ، ومن هنا اعتمدناها فى حديثنا عن عنصر حياة ابن ماجد من خلال الأرقام .

وقد كنت أتمنى - كما أشرت - أن يهتم المستشرق الروسى اهتماما أعمق بهذه الأرجوزة وما تدلّ عليه إلا أنى ، مع تقديرى الجم للجهد الذى بذل فيها ، أشعر بأنها ما تزال تحتاج إلى دراسات أعمق[2] ..

---

(١) سُفالة (SOFALA) مرفأ جنوب الموزامبيق فى مقابلة جزر القمر ، كان عاصمةً لِدولة إسلامية ، ويحكى عن أهلها صاحب المعجم مثل ما حكاه عن بلاد التبر بأرض جنوب المغرب ، من أنهم تجلب إليهم الأمتعة ويتركها التجار ويمضون ثم يجيئون وقد تركوا ثمن كلّ شيء عنده .. والذهب السفالى معروف عند تجار الزنج .

(٢) أذكر على سبيل المثال التفكّه أن كلمة «الأشرقى» كما نعرف عملة ذهبية منسوبة إلى السلطان الأشرف .. لمّا تحدث ابن ماجد عن بلاد مصر افاد فى البيت التالى أن «الدينار الأشرقى» مضروب من ذهب النوبة (الورقة ٩٣ ، أسطر ١٦) : =

وقد كان بِودِّى لو أنّ الأستاذ شوموفسكى وجد من الوقت مايسمح له بتقفى آثار ابن ماجد وتقفى أقواله وأعماله إلى جانب دراسة عاملٍ هامٍّ فى الموضوع وهو عامل سِنِّهِ أى سنّ ابن ماجد ، هذا العامل الذى نجد من الصّعب جدّاً أن نتصوّر معه ابن ماجد مجرّد شخص هامشىّ يبحث، عن المتعة بقدر مايبحث، عن الخدمة مع الحاكم على مايرويه فيرّان عن باروش !

مهما يكن لقد عرفنا – من خلال السُّفالية – ما كُنَّا فى حاجة إلى معرفته من حياة ابن ماجد .

لقد تحدث لنا عما عاينه بنفسه عام ٩٩٠ = ١٤٩٥ عن وصول الأفرنج ثم تخبطهم – بعد ذلك – طيلة السنتين المتواليتين (٩٠١– ٩٠٢= ١٤٩٦ – ١٤٩٧) بحثاً عن طريق قاليقوط التى وصلوها فى نهاية السنتين المذكورتين قبل أن يعودوا إلى أرض الزنج لاستجماع أنفاسهم !

ولكن على أن يقصدوا أرض الهند سنة ٩٠٦ = ١٥٠٠ – ١٥٠١ بنية الإستقرار والاستمرار ، كل هذا أمكن استخلاصه من السفالية على ما نرى بالإضافة إلى ما تناهى إلى ابن ماجد من معلومات افرنجية تتصل بهوايته البحرية مما لم يجد غضاضة فى التنويه به فى الأرجوزة ، أليس هو القائل : « فاطلبْ ضالتك ولو فى أهل الشرك » ! وبالاضافة كذلك إلى الشماتة بالدخلاء وهم يتعرضون

وكلّ ضرب الأشرفى منه   فلا تسل من بعد ذاك عنه !

لكن شوموفسكى ظهر له أن يصلح كلمة « الأشرفى » إلى « المشرفى » مُفسرا إياها بأنها « السيف المشرفى » !! .

كما أعيد إلى الذاكرة ما أسلفته من خطأ المعلقين على شوموفسكى الذين ادعوا أن الشاعر البرتغالى كامويس ذكر إسم ابن ماجِد !!

للعواصف البحرية .. وهم يقضون الشهور يتخبطون فى مجاهل المحيط الهندى ..

أرجو أن أفتح قوسين هنا لأذكّر بالعودة إلى الشّطر الأول من نص النهروالى المتعلق بما وقع أول القرن العاشر من دخول البرتغال إلى ديار الهند عبر مَمَرٍّ بحرى قريب من جبال القُمْر .. فى مكان كثير الأمواج لا تستقر به سفائنهم ، وتنكسر ولا ينجو منهم أحد ، واستمروا على ذلك مدة وهم يهلكون فى ذلك المكان ولا يخلص من طائفتهم أحد إلى بحر الهند إلى أن خلص منهم غراب إلى الهند ..

فإذا ماألقينا نظرة على خاتمة الأرجوزة « المعلقية » فسوف نتحسّس من خلالها مدى الشّعور بالألم والحسرة من رؤية المجتمع الإسلامى فى معلقة (ملّاقة) وقد شاعت فيه علامات الانحال والتفسخ نتيجةَ الإحتلال الأجنبى ، على نحو ما حُكِيَ على عاصمة امبراطورية سُنْغَاى فى افريقيا الغربية بعد أن استهدفت بدورها لنفس الغزو[1] .. ولا شكّ أن تلك الوضيعة لم تعرفها معلقة (ملّاقة) بين عشية وضحاها ، الأمر الذى يجعلنا نعتقد أن ابن ماجد ربما كان يتحدث عن الحالة فى بداية العقد الثانى من القرن العاشر الهجرى ٩١٤ = ١٥٠٨ تقريباً نفس السنة التى كانت تصادف وفاته ، كما تصادف وفاة صديقه

---

(١) الشيخ الأمين عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد سنغاى - دار البيان العربى - جدة ١٣٩٦ = ١٩٧٩ .

Z. D. ISSIFOU : 1 Afriqye noire dans les Reternatio nales au XVIè Siècles Carthala, paris, 1982 .

د . عبد الهادى التازى : الموجز فى تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية ، مطبعة المعارف الجديدة - الرباط ١٤٠٥ = ١٩٨٥ ص ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ .

أو شيخه أبى بكر بن عبدالله العيدروس اليمنى[1] رحمهما الله ، وهى السنة التى أتّجه فيها ألْبوكيرك نحو مملكة هرمز ..

أما القصيدة (التائية) فإنها أبرز مايستخلص منها ، كما قلنا أنها كانت إيذاناً بأن شهاب الدين استنفذ أغراضه من الدنيا بعد أن حقق الله أمانيه .

وهكذا **فطيلة فترة** ملازمته المركب - وهى خمسون سنة - كما يقول - ألف الحاوية عام ٨٦٦= ١٤٦٢ والمُعْرِبة عام ٨٩٠= ١٤٨٥ و «الذهبية» عام ٨٩٣= ١٤٨٨ والميمية و «كنز المعالمة» عام ٨٩٤= ١٤٨٩ ..

وبعد هذا أخذت ملازمته للسفينة تخف .. لقد بلغ من العمر زهاء ستين سنة وهو يتفرغ الآن لكتابه الجليل : (الفوائد) عام ٨٩٥= ١٤٩٠ .

وعندما تحدث فى أرجوزته (السُّفالية) عن أحداث ٩٠٠= ١٤٩٥ كان يتحدث وهو ابن خمس وستين سنة حيث لم يغفل ، كما أشرنا، عن تقديم لقطة تاريخية هامة : تحرك الفرنجة عبر «المدخل»[2] إلى افريقيا الشرقية ثم إلى المحيط الهندى ثم يعطينا ابن ماجد وصفاً لسنتى التّيه اللتين عرفهما الأجنبى قبل أن يحط ركبه بأرض الهند على نحو ماذكر النهروالى ..

---

(١) يوجد بيتان لهذا الشيخ اليمنىّ الأصل ، الشاذلى الطريقة ، أثبتهما ابن ماجد مابين الصفحتين ٩٦ (ب) و٩٦ (أ) . ولابدّ من الإشارة إلى أن ابن ماجد تحدث عن «اليمن الفيحاء أرضة الأحبة» فى الورقة : ١٠٤ ص . ٥ .

(٢) يقصد ابن ماجد بالمدخل رأس الرجاء الصالح (Bonne Espèrance) كما سماه ملك البرتغال بعد رحلة دياز (DIAZ) .

وقبيل أن أصل إلى تاريخ آخر ألحّ على ذكره ابنُ ماجد مرتين اثنتين من السفالية وهو تاريخ ٩٠٦= ١٥٠٠/١٥٠١ الذى يؤرخ للعودة البرتغالية الحاسمة إلى كاليكوت .. قبل أن أصل إلى ذلك التاريخ يجب أن نعرف جميعاً عن فترةِ ما بين التاريخين اللذين اهتم بهما ابن ماجد : أعنى ما بين سنتى التيه : وهما ٩٠١ - ٩٠٢= ١٤٩٦ - ١٤٩٧ ، وبين سنة ٩٠٦= ١٥٠٠ - ١٥٠١ التى احتُلت فيها كاليكوت ..

وبالضبط **فترة ما بين** يوم الثلاثاء **٢٤ أبريل ١٤٩٨ وبين** يوم الأحد **٢٠ مايو ١٤٩٨** التى ذكر كَابريل فيران أنها كانت موعداً لِعبور ذى كَاما صحبة أحمد بن ماجد .. تلك الفترة التى عززها ثيودور شوموفسكى (Shumovsky) بوضع خريطة تبين بعض الأمكنة الواردة فى السُّفالية .. إنَّ هذه الفترة تلهمنى من وجهتى نظر اثنتين :

أولاهما : إنها **التاريخ المفتاح** لدى فيران وسائر من تبعه بما فى ذلك الأستاذ الزميل مقبول فى تعليقه بالطبعة الجديدة لدائرة المعارف الإسلامية ، أى الفترة التى ظهر فيها ابن ماجد بكلّ ثقله العلمى ومركزه الإجتماعى .

ثانيتهما : أنها **الفترة الوحيدة** التى لم يتعرض لها ابن ماجد إطلاقاً فى «السفالية» مع العلم أنه تحدث عما قبلها (٩٠٠= ١٤٩٥) وما بعدها (٩٠٦= ١٥٠١) .

فيما يتعلق بوجهة النظر الأولى ، أريد أن أتساءل : لماذا اقتصر فيّران على ذكر التاريخ الميلادى دون ذكر الموافق له بالتاريخ الهجرى ؟



هذه الخريطة مأخوذة من كتاب « ثلاث راهنامجات المجهولة » وقد تعمدت أن لا آتى بالتعليق الوارد فيها والذى ينسب لابن ماجد إرشاد البرتغاليين

تعمد فيران – إمعاناً فى التّلبيس – وحتى لا يثير عليه الشبهات أن يقتصر على ذكر التاريخ المسيحى دون الهجرى ، مع علمنا بأن المستشرقين حريصون فى مثل هذه الأمور على البحث عن التواريخ الهجرية كذلك .. لكن فيران ، لما لم يكن التاريخ الهجرى يخدم أطروحته أهمله ..

والغريب فى أمر فيران أنه بالرغم من أن المصادر البرتغالية القديمة حرصت على ذكر اسم المعلم كاناكا ولم تردّد صدى لابن ماجد ، إلا أنه مع كلّ ذلك يناقش المؤلِّفين البرتغاليين القدامى – كما ذكرت –

ويقول لهم : إنه يعتقد أنهم مخطئون ولو أنه – على حدّ تعبيره – يعجز عن تفسير أخطاءهم !!

أما فيما يتعلق بوجهة النظر الثانية ، أريد أن أتساءل : ماذا قال ابن ماجد عن تلك الفترة التى ذكرها فيران ووثّقها بالسنة والشهر ثم

الميثاق

محاضرات

ابن ماجد ... رجل فوق الأمواج

● تراث ضخم في مجال علوم البحار



• بمناسبة زيارته لعُمان القى الدكتور عبد الهادي للتازي محاضرة في مسقط حول «الملاح ابن ماجد» .

وقد استهل الدكتور الثازي محاضرته بمدخل مشوق حول اوجه الشبه الكثيرة والكثيرة جدا بين تاريخ المحيط وتاريخ الخليج، انتقل بعدها ليقدم الملاح العربي ابن ماجد كآخر قبس لاح في أقصى ديار المشرق، فى وقت كان فيه النشاط البحري بالغرب الاسلامي يتعرض لحصار محكم نتيجة لتآمر الاساطيل الاجنبية عليه .

وقد ظل اسم ماجد ـ يقول الدكتور الثازي ـ على ألسنة البحارة فى خليج عمان والبحر الاحمر والمحيط الهندي قرونا عديدة،، فكان أقوى جسر ربط بين القارة الاسيوية والافريقية، وكان مفخرة للعالم العربي والاسلامي بما كتبه من عشرات المؤلفات وما قدمه من معلومات مفيدة قبل ان يتوفاه الله حوالي 914 هـ ـ 1508م.

وبعد ذلك تطرق المحاضر للحديث عن الجدل الطويل الذي عرفته الخمسون سنة الماضية حول قضية تمس هذا الملاح العربي .

جانب من تعليقات بعض الصحف

عزّزها شوموفسكى ؟ الجواب : لا شىء .. لقد قرأنا لابن ماجد عن أحداث ٩٠٠ و ٩٠١ و ٩٠٢ .. ثم عن أحداث ٩٠٦ ، فماذا كان وراء اهماله للحدث العظيم الموثّق بـ «المذكرات والأجهزة المتبادلة ، والخرائط البحرية» والمتمثل فى عبور فاسكو دى كَاما للمحيط الهندى بأسطوله ورجال سلطانه ، رمضان عام ٩٠٣ بالهجرى أى ماية ١٤٩٨ ، قبل أن تعود البعثة إلى ليشبونة بعد نحو من سبعة شهور (١٠ دجنبر ١٤٩٨ = ٢٥ ربيع الثانى ٩٠٤ ، ومعها رفيقها الجديد بن سعيد (Moń çaid)[1] وهل يسوغ أن يقبل حديثه عما قبل وعما بعد الحدث العظيم ، دون أن يتناول الكلام عن هذا الحدث الأساسى ؟ !

إنى على يقين تام من أن ابن ماجد لم يتهرب من الكلام عن ذلك الحدث الذى كان يدخل فى إطار المحاولات المتجدّدة باستمرار والذى شاءت الأقدار أن تجعل منه فيما بعد ، الحدث البارز والحاسم بالنسبة لاستعمار البرتغال للهند ..

ولكن ابن ماجد كان - على ما يتأكد لدىّ - غائباً عن المنطقة ، وربّما كان يوفى بالنذر الذى قطعه على نفسه بالذهاب إلى وداع بيت الله الحرام .. على ما سمعنا .

بهذا أفسر صَمته أنا عن ذلك «الحدث» الذى نفخه فيران وزاد فيه شوموفسكى وقبلناه نحن من غير من أن نكلّف أنفسنا عناء تتبع **مراحل عمر** ابن ماجد !

ومن هنا فإن الأطروحات المتعلقة بذاك البقاء الخيالى تظلّ مهلهلة القياس منهارة الأساس !! إن مجرد كون فترة عبور دى كَاما للمحيط

---

(١). Rolland J . F . Les Portugais à la conquéte de l'Asiei 1956

الهندى **كانت رمضان** ، مجرد ذلك يُقصىَ فكرة اللقاء ، وأحرى المنادمة والمسامرة و « البحث عن المتعة وعن الخدمة مع الحاكم » كما يقول باروش ! فإذا ما أضفنا عنصر السبعينات التى كان الشيخ ابن ماجد يقطعها وأضفنا إلى كل هذا إهمال ابن ماجد لأحداث ٩٠٣ = ١٤٩٨ بسبب تغيبه ربَّما فى حجة وداعٍ .. عْرفنا إذن مدى مصداقية تلك الأطروحة !

ولئن كان النهروالى تحدث دون أن يتروى ، فإن بعض المستشرقين الذين وضعوا « السناريو » (SCENARIO) ووثقوه بالتواريخ المسيحية تعمدوا أن لا يبحثوا عما يقابل تلك التواريخ من أيام الله .. حتى يوقعوا فى « فخهم » أكبر عدد من الباحثين .. حول ابن ماجد من الذين ظلوا إلى الآن يتصوّرون أنه (شرب) وانه إنما لم يذكر أحداث ٩٠٣ = ١٤٩٨ ، لأنّه (ندم) !! كبرت كلمة تخرج من أفواههم !!

أعتقد أنّ أحداً منّا لا يرضى – بعد اليوم – أن يقبل الخدش فى سيرة عملاق من عمالقة العرب كان خير جسر وأمتنه للعالم الإسلامى بين القارة الآسيوية والأفريقية .. فى سيرة بطل لم يركع إطلاقاً للإغراءات الرخيصة .. أعتقد أنّ أحداً منّا لا يرضى أن يسمع عنه أنه باع نفسه بأبخس ثمن لأرذل غرض وفى أبرك وأتقى شهر !

وهكذا فبعد أن تأكّد لدينا أن ابن ماجد تتبع أحداث السنة الأولى من القرن التاسع الهجرى .. كما تتبع السنتين المواليتين .. بما اكتنفها .. أى السنوات الثلاث ، جميعاً من عبث العواصف وغرق بعض المراكب وما انتهى إليه الأمر من وصول البرتغال إلى أرض الهند فى آخر هذه السنوات الثلاث ، وبعد أن تأكد لدينا أن ابن ماجد لم

يتحدث إطلاقاً عن حدث وصول فاسكو دى كَاما فى شهر أبريل – مايو ١٤٦٨ الموافق لِشهر رمضان ٩٠٣ ، مع العلم أنه ، أى ابن ماجد ، تابع خطوات البرتغال إلى عام ست وتسعمائة= ١٥٠١ حيث، أخبر من تمكنهم من كاليكوت واتّصالهم برجال الحكم هناك .. كما تابع خطواتهم وتأثيراتهم فى معلقة (ملّاقة) .. إلخ ..

بعد أن تأكّد لدينا كلّ ذلك وتأكد لدينا مدى صحة «خبر النهروالى» وتأويلات فيران وشوموفسكى ، بعد كل ذلك يمكن القول بأنه إذا كان هناك من صلة بين ابن ماجد وبين الافرنج وخاصة منهم البرتغال ، فإن هذه الصلة لا تتجلّى أبداً فى مجالسة دى كَاما ولا منادمته أو مسامرته أو معاقرته لكأسٍ معه ، ولكنها تجلّت فى أن الفرنج والبرتغال على الخصوص استفادوا من «المرشدات البحرية» لابن ماجد ، استفادوا من مؤلفاته المفيدة وآثاره العلمية التى كانت رائجة مستعملة على ذلك العهد بين «المعالمة» و «النّواخذة» المنتشرين فى تلك الخلجان والبحار والمحيطات ، تلك المؤلفات التى قال عنها الأميرال التركى سيدى على ريس (تـ ١٥٦٢) فى كتابه «محيط»[1] : «إنه كان من الصعوبة بمكان أن يبحر المرء فى الممرات المائية وان يخترق المحيط الهندى دون الإستعانة بأمثال تلك الكتب» .. أريد القول بأن الربابنة والملاحين الأجانب كانوا يجدون أنفسهم وجهاً لِوجه أمام تلك الآثار العلمية فكان عليهم أن يستشيروا بإرشاداتها ومن هنا هيمنت مؤلفات ابن ماجد على سائر الرؤساء البحريين وهكذا فإن الصلة تظلّ فقط

---

(١) حقق العالم النمساوى وتوماشيك (Tomaschek) هذا الكتاب وقدم له باللغة الألمانية عام ١٨٩٧ كما قدم أجزاء منه قبله المستشرق هامر (Hammer) فى الثلاثينات من القرن الماضى أنور عبد العليم ، الفوائد .

صلة عن طريق ماقال وما أفاد وليس عن طريق الارشاد ولا طريق الفساد .. !

إن الواجب يفرض علينا نحن المقتنعين ببراءة ابن ماجد ، وبمكانة ابن ماجد ، أن نعمل على نسف تلك التهمة من الأساس ، بالكلمة النيّرة والحقيقة الصادقة ، علينا أن نبعث، إلى ليدن حيث، تطبع **الموسوعة الإسلامية** بحصيلة دراساتنا المرتكزة على المصادر والمراجع تعقيباً على ماكتبه فيرّان وما كتبه شوموفسكى وما كتبه زملاءنا الكتاب العرب والمسلمون . إنهم سيرحّبون ، لأن فى ذلك خدمة للحقيقة العلمية .. يجب أن تكتب باللغة الفرنسية مثلًا فى صفحةٍ مركّزة ماذا نعتقد عن هذا الرجل العظيم ، بأسلوب أكاديمى موثق على نحو مانفعله فى عدد من المناسبات .. لقد أخذت **الموسوعة الإسلامية** على عاتقها أن تنشر فى فصلات لاحقة مايصلها من استدراك وتعقيب .. ويكفى لتصور استعداد السادة الاساتذة المشرفين على إصدار الموسوعة الإسلامية ، أن أذكر هنا أن معلومات كَابرييل فيران التى صدرت عن ابن ماجد فى الطبعة الأولى للموسوعة عام ١٩٣٤ تحولت أو تطورت إلى أسلوب آخر فى الطبعة الثانية عام ١٩٦٤ ، حيث، وجدنا الأستاذ س . مقبول أحمد هو الذى يتولّى تحرير الحديث، عن ابن ماجد بأخفَّ مما كان عليه الحال فى المرة السابقة بحيث، أخّر الحديث، عن صلة ابن ماجد بالبرتغال إلى ما بعد تقديم الرجل وتقديم أعماله ، كما لوحظ استبعاد التّهمة الجديدة الملحقة بابن ماجد من لدن فيران والمتخلصة فى تسلمه «للمكافأة الحسَنة» لقاء خدمته .. ؟ هذا إلى ما سجلناه بارتياح من استفادة الأستاذ من أرجوزة السُّفالية حول بعض المعطيات التاريخية ولو أن لنا مواخذة على زميلنا العزيز الأستاذ

مقبول أحمد فيما يتصل بحجم وبعد تلك الاستفادة من السفالية ، ذلك الحجم الذى نعتقد أنه ظلّ محدوداً ودون ماأن يتعمق فى الحديث، عن التواريخ التى أهملها ابن ماجد وهو الأمر الذى يجعلنا نعتقد بأن الأستاذ سيد مقبول[1] ظل مشدوداً إلى المعلومات التى قدمها كَابيريل فيران – على ماأسلفنا– وظل متهيباً النيل منها[2] بالرغم من وقوفه على «السفالية» وما يتصل بها على مارأينا وعلى ماسنرى ، وما كان حديثا يفترى ! وهى الحقيقة التى فهمتها من الزميل المذكور فى آخر لقاءٍ لى معه ..

---

(١) S. Maqbul Ahmed E. I.

(٢) فيران : شهاب الدين ابن ماجد ، دائرة المعارف الإسلامية طبعة أولى تعريب الشنتناوى ، دار المعرفة ، بيروت .

• ذ . خوان بيرنيط : هل هناك أصل عربى اسبانى لفنّ الخرائط البحرية ؟ تعريب ذ . مختار العبادى ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية – مدريد ، العدد الأول – السنة الأولى ١٩٥٣ .

خاتمـــة

ونريد أن نصل فى النهاية إلى الحقائق التى يمكن أن نستخلصها من هذا العرض :

لقد أشرتُ عدة مرات إلى إحدى الأراجيز الهامة لأحمد بن ماجد ، وأعنى بها (السُّفالية) وقد كانت تتميز عن سائر مؤلفاته بعدد من الخصوصيات أبرزها أنها المؤلَّف الوحيد المعاصر الذى أعطانا صورة عن الوجود البرتغالى بإفريقيا الشّرقية والمحيط الهندى .

ومن أجل كل هذا فإننى أرى من الواجب أن نقرأها قراءةً جديدةً ، ونعتبرها حجر الزاوية فى كل مايَمس موضوعنا المطروح .. إن الدّراسات والتعليقات والهوامش التى قرأناها عن «السُّفالية» ماتزال تحتاج منّا إلى المزيد من التَّمَعُّن والتقعر .. ولقد كان الأستاذ ثيودور شوموفسكى صريحاً مع نفسه ومع زملائه عندما اعترف بأنّ «السُّفالية» لم تحلَّل تحليلًا كاملًا .. وأنه ، أى شوموفسكى ، إنما قصد أن يدفع بالبحث، خطوةً إلى الأمام ..

وجدت نفسى أمام (بيان حقيقة) صدع بها ابن ماجد رحمه الله فى الوقت المناسب أى ٨٠ سنة قبل أن يكتب النّهروالى خبرَه المزيف عن أمر ذلك الإتّصال المزعوم ! فنحن إذن أمام وثيقة تاريخية صادرة عن شخصية علمية كبرى كانت محلّ ثقتنا وثقة العالم كلّه فيما روته ، ابتداءً من «الحاوية» وانتهاءً بـ «التائية» .. ولا يجوز بحال من الأحوال أن نؤمن بجميع ما جاء فى كتب ابن ماجد وأن نعْتزّ بكل ما حَبّره ابن ماجد ، ثم أن لا نأخذ بعين الإعتبار وبنفس الثقة الجانب التاريخى من

أراجيزه اللاحقة ، وهو الجانب المتعلق بوصول الأجانب إلى المحيط الهندى سواء فيهم الافرنج أو الروم أو أهل البندقية كما يقول ..

وهكذا فنحن أمام نصّ تاريخى له من فترة المعاصَرة ما يبطل من الأساس خبراً مهلهلًا أتى فى صيغة التمريض بعد عشرات الأعوام .

وأريد أن أضيف أنه لو **رفعت دعوى** على النهروالى فيما سجله من مذكرات لكان هو المحجوج أمام حقائق أدلى به معنىً بالأمر فى الوقت المناسب ، وبكل تجرّد ونزاهة وصراحة .. أمام إفادات أخرى أجنبية قديمة صادرة عن كَويش وباروش وعن كاستينيدا كما أسلفنا تتحدث عن أسماء أخرى هى على كلّ حال ليست إسم ابن ماجد ..

وسيكون من الحيف والتجنى إذا ما توهمنا أن ابن ماجد كتم شيئاً مما عنده حول الوجود الأجنبى فى المنطقة ، وانه إنما شجب ذلك « الوجود » تكفيراً عما كان بدر منه !! إن الرجل كما عرفنا جميعاً كان فوق هذه المخاتلات والمواربات ..

وبعد هذا سيسهل علينا أن نؤمن بالحقيقة الثانية التى تتلخص فى أن المعلومات التى قدمها كَابرييل فيران أصبحت بعد ظهور « السُّفالية » معلوماتٍ متجاوَزة ، وأنه لو بقى متسع من العمر أمام كَابرييل فيران للإستجابة إلى ما طلبه إليه كراتشكوفِسكى (KRATCHKOVISKI) من الإطّلاع على «السُّفالية» وما تبعها لَغَيَّر رأيه ، إلّا أنّ فيران لم يتمكن من أخذ هذا العمل على عاتقه ، فقد كان عليه أن ينجز بعض الأعمال التى لم يمكن له إرجاؤها ، علاوةً على بعض الأمور العلمية التى أرغمته على أن يضع **الأدب العربى البحرى فى المرتبة الثانية** إنه ربما كان يعتقد أن « السّفالية » أدب محْض .. ! ولم

يخطر بباله أنها تتضمن معلومات تاريخية وانطباعات شخصية .. وهذا أمر مهم بالنّسبة لموضوعنا ..

ومع أن صورة المخطوط : «السُّفالية» قد أرسلت إلى كَابرييل فيران وقدَّرها حق قدرها وعزم على إصدارها إلا أن مباغته الموت له يوم ٣١ يناير ١٩٣٥ حال دُون تحقيق تلك الفكرة .. الأمر الذى يؤكد أن كَابرييل التحق بالعالم الآخر ومعه سر الحقائق التى ذكرتها السفالية إن كان قد تمكن من دراستها فعلًا وهو الأمر الذى أشك فيه[1] !!

لقد شعر شوموفسكى (SHUMOVSKI) بأنه – وقد أشار عليه الأستاذ كراتشكوفسكى بنشر الأراجيز المذكورة – شعر بأنه أمام عمل كبير ومعقد .. وأن دراسته لاتدعى لنفسها تحليل الموضوعات تحليلًا كاملًا على ماأسلفت ..

ولابدّ أن نحفظ هنا أن كَابريل فيران .. عندما كان يتحدث عن ابن ماجد كان يتجاهل أنه كان قد بلغ قِمة عمره وقِمة مجده كما تعمّد فيران – على مايبدو – أن لا يتعرض لما يقابل التاريخ الميلادى بالتاريخ الهجرى عند حديثه عن اللقاء المزعوم ، بين أواخر أبريل وشهر مائة ١٤٩٨ ، وهو تاريخ كما علمنا يتفق مع **شهر رمضان** ، وأنه ليأخذ العجب منّا مأخذه حينما نلاحظ أن ابن ماجد تتبع تحركات الفرنج عام

---

(١) لاحظت وأنا أبحث فى الخزانة الوطنية بباريز عن آثار ابن ماجد أنَّ «السُّفالية» لاتوجد ضمن تلك الآثار ، الأمر الذى يجعلنا نتساءل عن مصير النسخة التى أرسلت إلى فيران .. ؟

٩٠٠ = ١٤٩٥ والسنتين الضائعتين بعدها .. ثم وثب لعام ٩٠٦ = ١٥٥١ ولكنه لم ينص إطلاقاً على العام الحاسم ٩٠٣ = ١٤٩٨ الذى يفترضون أنه – أى ابن ماجد – كان المرشدَ الأساس فيه !! لقد ظهر ابن ماجداً صامتاً إلى أن كانت سنة ٩٠٦ على ما رأينا !

لو درس فيران (السُّفَالية) ووقف على إفادات شاهد العيان فيها ، لكانت أنارت طريقه وهو يبحث، عن محاولات الإبحار التى تمت قبل فاسكو دى كَاما .. ومعه .. وبعده ..

ولهذا فسيظل اعتمادنا على المعلومات التى قدّمها ابن ماجد نفسه .. وتعضده فى ذلك المؤلفات الأجنبية القديمة من التى تتفق معه فيما تحدث به عن نفسه وأن اسم المرشد هو كاناكا وليس ابن ماجد .

أما عن الحقيقة الثالثة فإن الأمر يتعلق **بآثار الضباب** الذى خلّفته مرويات كَابرييل فيران على المستشرقين الآخرين .. إن كراتشكوفسكى ومِن بعدِه تلميذه شوموفسكى لم يكن لنا أن نطمع فى أنهما – بعد أن أطلعا على ما قاله ابن ماجد فى السُّفالية – سيتحولان بسرعة عن «التوجيه» الذى أعطاه فيرّان سلفاً لكل الذين يكتبون حول ابن ماجد ، لم يكن لنا أن نطمع فى ذلك لأننا نعلم جيِّداً أغراض **بعض رجال** الاستشراق وشعور **بعض رجال** الاستشراق إزاء رجالاتنا وشخصياتنا وقضايانا !

ولهذا فلم يكن غريباً علينا أن نجد أن افتراضات فيران تصبح فى عداد الحقيقة عند الروس ، الأمر الذى جعلهم ينعتون صاحب كتاب السفالية منذ الصفحة الأُولَى لعنوان الكتاب بأنه أحمد بن ماجد ربّان رحلة فاسكو دى كَاما من غير تكليف أنفسهم لا بالبحث، عن عمره

ولا صيته ولا حتى بالبحث، عما يقابل ذلك التاريخ المسيحى من تاريخنا الهجرى ..

أكثر من هذا نجد أن هؤلاء الذى علقوا على هذا الموضوع من الروس زعموا أن **الشاعر البرتغالى كامويس** ردّد إسم (ابن ماجد) كدليل لِفاسكو دى كَاما دون أن يحملّوا أنفسهم عناء العودة إلى أصول الشاعر المذكور وقد طبعت عام ١٥٧٢ ، على ماأسلفنا ، وهى تذكر الربان باسم ميلمدانو (Melmdano) وتروى عنه قوله : « هذه الأرض هى كاليكوت ، إذا لم أكن مخطئاً .. تقريباً الأرض التى تبحثون عنها[١] » .

وهكذا فبالرغم من ظهور « السُّفالية » التى تظل القول الفصل فى الموضوع ، فإن بعض الزّملاء من الكتاب العرب والمسلمين ، ماانفكوا يشيدون ويصدقون بكل سطر قاله ابن ماجد إلا السطور المتعلقة ببراءته مما نسب إليه .. إلا السطور التى تجيش غيرةً وحماساً على ماأصاب الإسلام والمسلمين من الحملات البرتغالية .. هذه السطور هى وحدها دون غيرها تبقى محلًا للتفسير المشوّه والتأويل الآثم المارق .. مع أن إلقاء نظرة سريعة على تلك السطور يجعلنا فى الصورة الحقيقية للموضوع ..

وسأضرب هنا مثلًا لِدرجة الكثافة من الضباب الذى يخيم على بعض الذين سحرتهم « اكتشافات فيران المتجاوزة » .. إن معظم ذلك البعض إن لم أقل كلّه .. لم يقف قليلًا لِيقدمِ إلينا التواريخ الهجرية

---

(١) Os Lusiadas, Lui de Camoès, 1572 p . 473.

المذكورة فى السفالية **مقرونة** بالموافق من التواريخ الميلادية التى أُملِيَت علينا إملاء ! إن معظمهم لم يحمل نفسه عِناء البحث، عما يقابل سنة ٩٠٠ الهجرية التى تحدث فيها ابن ماجد عن تخبّط الفرنج وصراعهم مع البحر .. وأن معظمهم لم يكلف نفسه عناء البحث، عماذا كان يوافق السنتين الكاملتين التابعتين اللتين تحدث عنهما ابن ماجد واللتين شهدهما المحيط الهندى كمرحلةٍ قلقةٍ فى المحاولات البرتغالية قبل أن تكتحل عيونهم برؤية كاليكوت ! وأن جلّهم لم يكلف نفسه عناء البحث، ليس عما يوافق سنة ٩٠٦ الهجرية التى أناخ فيها البرتغال بكلكه نهائياً على كاليكوت ، بل عما قيل فى المصادر البرتغالية مما يقابل هذا التاريخ .. وهكذا فإنّ هناك حلقاتٍ ظلت مفقودة إلى الآن ، وكان الذى سبب فقدها هو أننا تجاهلْنا أهمية الرد الحاسم الذى ورد فى السفاليةِ على كل الذين يحاولون أن يشككونا فى مركز وشخصية وأهمية بطلنا العملاق شهاب الدين أحمد بن ماجد رحمه الله .

إن سكوتنا عن تلك الترّهات ستجعل من تلك الأقوال المبتسرة «حقائق» مروية لَدَى بعض المتساهلين والعابثين ! أو لم يظهر قبل نحو من أربع سنوات (فيلم) عن ابن ماجد من إنتاج دولة عربية يحتوى على بضع عشرة حلقة .. يتحدث عن الملاح العربى ابن ماجد وهو يتحوَّل إلى إنسان فى **عنفوان الشباب** عندما كان يقوم بالعمل المنسوب إليه زوراً وبهتاناً ؟ وسنرى - إذا ما سكتنا - إلى جانب السكر فى رمضان انتِهاكاتٍ أخرى فى سبيل أن يقال : أن ابن ماجد كان أستاذاً لأوربا فى الوصول إلى الهند !!

(١) (Liesl Gaz: Les Omanis, nouveaux gardiens du Golf, Albin Michel 1981 p. 27

وقد قرأنا حديثاً ، كتاباً بالفرنسبة بعنوان : العمانيون ، حراس جدد للخليج يتحدث عن دليل فاسكو دى كَاما على أنه[1] أحمد بن ماجد وليس كاناكا ولا كانا !!

ينظم مؤتمر دولى للتاريخ تحضره أزيد من مائة دولة يعالج فى صدر مايعالجه من مواضيع ، موضوعاً ربما نشعر ونحن نسمعه ببعض الاستغراب لأنه يبدو لأول مرة مرتبكاً ومُربكاً ، مع أنه من صميم مايحتاج إليه النقاش اليوم بين المؤرخين وهذا الموضوع هو : « مستقبل الماضى » (Futur du passè) .

الهدف من فتح هذا النقاش هو مراجعة ماروى فى الماضى عن بعض الأحداث وعن بعض الشخصيات مما أثبتت الحجج والوثائق على أنه كان مجرد فرية لا صلة لها بالحقيقة ..

أمامنا فعلًا عدد من المرويات مما كنّا نعتقد قبل أعوام أنها من صائب القول فإذا بنا بعد أن استكملنا معلوماتنا من المشرق والمغرب ، أتضح أن تلك المرويات فى حاجة ماسة إلى التصحيح .

فكم من وقائع حاسمة أهملها الماضى ! وكم من معلومات سخيفة قدمت على أنها القول الفصل ! ومن هنا تظهر أهمية مؤتمر « **مستقبل الماضى** » ..

إن ابن ماجد بما يحمله معه من تاريخ حافل كان جديراً بهذا البرور .. وجديراً برد الاعتبار إليه ، ومَن هو مؤهَّل فى العالم كله ليقوم بهذا الواجب غير أبناء جلدته من أبناء المنطقة الذين يظلون مدينين لابن ماجد فيما كتب عن ديارهم ، عن سواحلهم ، عن

بحورهم ، وعن علومهم .. عن عبقريتهم بما فيهم المتواجدون على شاطىء الخليج العربى أو خليج عمان والمحيط الهندى .. وسائر افريقيا الشرقية . من كل أولئك الذين تظل جغرافيتهم بتراء شوهاء إن لم تعتمد على إفادات ابن ماجد .. مَن هو جريرٌ فى العالم ليقوم بهذا الواجب غير الرجال الذين يعيشون على نفس الأرض التى نشأ فيها ؟ غير الذين يستظلون بنفس السماء التى كان بها يستظلّ ، وغير الرجال الذين نبّهتهم صيحات ابن ماجد وانذاراته للخطر المحدق بهم من الطامعين فى خيراتهم .

وانّ من حقّنا فعلًا أن نطالب المسؤولين عن التربية والثقافة فى هذه البلاد أن يخصصوا يوماً من السنة نطلق عليه : « يوم ابن ماجد » يمكن أن يكون « **منتصف شهر سبتمبر من كل سنة** » لأنّ ذلك التاريخ يصادف بالضبط اليوم الذى أتم فيه ابن ماجد مؤلفاً له مهمّاً بعنوان : « السبْعية » كتبه وهو فى جلْفار :

تمت لشهر الحج فى جلفار
أوطان أُسد البحر فى الأقطار
يوم الغدير أبرك الأيام
إذ خصّ بالإحسان والصيام
وكان فى الهجرة يامولاى
ستة وستين وثمان مايه

يكون ذلك اليوم ملتقى للمبدعين والفنانين والكتاب والمحققين والذين ينشدون الحقيقة من كلّ مكان .. ملتقى للمهتمين بعلوم البحر وتطور الأساطيل ..

علينا أن نعرف بقدر ابن ماجد فنرفع عنه ماأُلقى به خطأً أو قصداً .. يكفى أنه عاش فى حياته مهضوم الحق ، علينا أن نستحضره وهو يخاطب مواطنه بالأمس :

فإن تجهلوا قدرى – حياتى – فإنّما
سيأتى رجالٌ بعدكم يعرفوا قدرى !

د . عبد الهادى التازى

باريز – فال دو كَراص
١٨ – ٧ – ١٩٨٤

ملحــق

ملحق يتضمن معظم ما فى «السُّفالية» و«المعلَّقية» و«التائية» للربان أحمد بن ماجد مما يتصل بالوجود الأجنبى وآثاره فى ساحل افريقيا الشرقية وخليج عمان والقارة الهندية :

(ملاحظـة)

[يلاحظ أن أسلوب ابن ماجد وخاصة فى الشعر لا يهتم لا بقواعد نحوية ولا بصياغة لفظية ، إنّما يهمه فقط إيصال المعنى .. ولابدّ أننا سنقرأ أيضا من خلال الشعر عدم تردد ابن ماجد فى النقل عن المعلومات التى بلغته عن الافرنج ، الأمر الذى يؤكد أمانته العلمية] .

ورقة ٩٢ (ب) سطر ٤ محاولات سنة ٩٠٠ هجرية = ١٤٩٥م

زلّوا بها[١] الإفرنجى علق الموسم
فى عيد ميكال[٢] بالتوهم

قام عليهم موج تلك الروس
فى سُفالة بقى معكوس

وانقلبت أدقالهم[٣] فى الماء
والسفن فوق المايا خائى

غرقى يرون بعضهم لبعض
وكن عارفاً موسم تلك[٤] الأرض

---

(١) أى منطقة (سُفَالة) .
(٢) يوم القديس ميكائيل أو ميخائيل وتوافق ذكراه ٨ - ٢١ نوفمبر ..
(٣) أدقال جمع دقل ، سهم السفينة .
(٤) القصد إلى الرياح الموسمية (Moussons)

ورقة ٩٣ (أ) س ١٠ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٣١ حول هيمنة البرتغال على المعمور

من طرف الافرنج والمغاربِ
افهم كلامى واعتبر ياصاحبى
وزادناه بعلمنا الفرنجى
وصار يحكمهم بذاك النهج
وساحل البر وكل جزره
يحكمهم للبرتقالى شهره
إلى حدود بحر الوقاق
ومن هناك القمر[1] يارفاق
جزيرتى عنهم أمام
أهل الفرنج خبر التمام

ورقة ٩٣ (ب) سطر ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ١٢ حول النزول النهائى للبرتغال فى الهند ، ويلاحظ إهمال ابن ماجد لوصول دى كَاما فى رمضان ٩٠٦ = أبريل/مايو ١٧٩٨ .

ورجال كاليكوت[2] خذ الفائدة
لعام تسعمائة وست زائدة

---

(١) من الأسماء التى عرفت بها جزر القُمْر قديماً : الواقواق .
(٢) هى بالذات قالقوط .

وباع فيها واشترى وحكما
والسامَرى[1] بَرْطلـه وظلمـا
وصار فيها مبغض الاسلام
والناس فى خوف واهتمام
وانقطع المكى عن أرض السامرى
وشد جردفون[2] للمسافرى
وخبرتى بحملـة الفـرنجى
من جانب السودان شط اللجى
وهو الذى قد قهر المغاربة
وأندلس فى حكمه مناسبه

ورقة ٩٣ (ب) سطر ١٤ حول وجود (فينيزيا) من أجل التوابل كذلك !

واعلم بأن البندقى ياصاحب
فى غاية القوة فى المراكب
سوق الجميع قرب بحر الروم
وأكثر طول منهم ياقوم
وصفتهم حقا وهذا جهدى
وليس أدرى مايكون بعدى !

---

(١) السامرى ويجمع على سوامر ، لقب حاكم إمارة كاليكوت فى الهند .
(٢) الرأس الأحمر .
(٣) يقصد بالمدخل رأس «الرجاء الصالح» .

ورقة ٩٤ (أ) سطر ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٥ حديث عن العامين الضائعين قبل النزول النهائى

وبينـه ومعـدن السُّفَـالى
مغارة قيل بها أو خالى
مَدْخَلُهَا للبحر من المغارب
قد صح هذا عن ذوى التجارب
أقوامهـا محمـرة الألـوان
من شدة البرد هناك يا خايه
تجروا عامين كامـلين
فيها ، ومالوا الهند باليقين
من حاول السين يخاف مالا
ما يرتجى وإلا ترك الامالا
ورجعوا من عندهم للزنج
فى هذه الطريـق الأفـرنج
وبعد ذا فى العام تسعمائة
وست جاءوا الهند يا خاية
واشتروا البيوت ثم سكنوا
وصاحبوا وللسوامر ركنـوا
والناس تضرب فيهم الظنونا
ذا حاكم أو سارق مجنونا
وتضرب السكة وسط البندر
بندر كاليكوت بين السفر

ياليت شعرى مايكون منهم
والناس معجبين من أمرهم !

ورقة ٩٤ (ب) سطر ١٣ - ٢٥ - ٢٦ حول بعض مانقله الافرنج مما يدل على أمانته العلمية .

أسنده أيضا لنا الافرنج
البرتقال وله ذا ملجى
أما الفرنج بعد هذا أذنوا
فى ذى الطريق بعد ماتمكنوا
أول مايجرون فى خروجهم
من الفرنج - قيل لى - ولوجهم

ورقة ٩٥ (أ) س ١١ - ١٢ حول الروم (بيزنطة)

لو كنت أحيا لزمان الصلح
كتبت علماً يستحق المدح
فى جملة أرض الروم الشمالية
وثم للصين ولا كفانية

ورقة ٩٥ (ب) سطر ٢٩ حول بعض مانقله من الافرنج كذلك مما يدل على أمانته العلمية .

وقالت الافرنج بالتحقيق
إنا كشفناها على الطريق

أى إن الافرنج ذكروا أنهم وقفوا على الجزر السالفة الذكر وهم فى طريقهم إلى الهند .

ورقة ٩٦ (أ) سطر ١٥ حول بعض ما نقله عن الافرنج أيضاً مما يدل على أمانته العلمية .

وسوف تزداد بهذى الطريق

من الإفرنج معرفة ومحدق

الورقة ١٠٤ (أ) سطر ١١ من (المعلَّقية) عن الحديث عن ميناء ملّاقة والأثر الذى خلفه الوجود الأجنبى فى أخلاق السكان :

تأتى لك الناس فبئس الناس !

لم يُعرف قط لهُم أَسَاس

يزوّج الكافر مسلمات

ويأخذ المسلم كافرات !

إنْ قلت « كُفَّار » فما هم كفره

أو قلت « إسلام » فغيرُ مخبره

عندهم السرقة قد سنُّوها

ما بينهم فليس ينكروها !

ويأكل الكلب لحم المسلم

ما بينهم فليس فيهم محتم

ويشربون الخمر فى الأسواق

ولا يصلون على الإطلاق !

الورقة ١٠٤ (ب) سطر ٥ والورقة ٥ س ١١ - ١٢ من القصيدة التائية وهى فى وصف المجارى والقياس فى البحر.

سرت نسمة الفردوس من أرض مكة
بريح الصبا فاشتاقت السير جلْبتى
فيا نعم تلك الأرض اربط حولها
بأمن فيا نعم هنا ومسرتى
على نشر الاعلام ونفطٍ وزينة
وحمد وشكر لله يفرحتى

تذييـــــل :

وقفتُ فى بحثٍ للأستاذ خوان فيرانيط أستاذ العلوم العربية بجامعة برشلونة بعنوان :

« هل هناك أصل عربى إسبانى لفن الخرائط البحرية ؟ »

نشر بمجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد العدد الأول – السنة الأولى سنة ١٩٥٣ ، بتعريب الأستاذ مختار العبادى . وقفت على البيتين التاليين منسوبين لابن ماجد مما لم أجدهما فى شعره .

وقيل كان فى قديم الدهر
مراكب الافرنج تأتى القمر
أيضاً ويأتون لبر الـــزنج
والهند نقلًا عن ذوى الافرنج

مصـــادر ومراجـــع بالعربيـــة

أوزيران صالح : الأتراك العثمانيون والبرتغاليون فى الخليج العربى ، ترجمة وتعليق عبد الجبار ناجى ، جامعة البصرة ، سلسلة ٢٧ ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٧٩ .

باروش (De Baros) : آسيا . . . العشارية الثالثة ، الجزء الأول ، الفصل الثالث ، الحملة البرتغالية إلى عُمان فى القرن ١٦ ، ترجمة سفارة سلطنة عُمان ، باريز .

بدر الدين عبد الرحمن : العرب فى شرقىّ إفريقيا ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، مارس ١٩٨٠ .

التاجر على : الرُّبان أحمد بن ماجد ، دفاع وتقييم ، مجلة العرب ، دار اليمامة - الرياض رمضان ١٣٩٠ = نوفمبر ١٩٧٠ - براءة ابن ماجد ، جريدة الإتّحاد ، الإمارات العربية المتحدة ، عدد ١٩ نوفمبر ١٩٧٩ .

التازى عبد الهادى : سفارة أنطونى تشيرلى إلى المغرب وعلاقاتها بالتدخل الأجنبى فى منطقة الخليج ، بحث قدّم إلى مؤتمر الدراسات التاريخية لشرقىّ الجزيرة العربية - الدوحة : مارس ١٩٧٧ .
تجاوب الأدب المغربى مَعَ نوازع الخليج العربى ، الكتاب الأول ١٩٧٧ .

الصلات التاريخية بين المغرب وعمان وزارة التراث القومي والثقافة سلسلة تراثنا عدد ٢٢ - غشت ١٩٨١ ، المطبعة الشرقية ومكتبتها - سلطنة عمان .

التازى عبد الهادى : الأسطول المغربى عبر التاريخ ، مجلة البحث العلمى ، عدد ٣٣ - ١٩٨٣ - حِزب الجو ، مجلة دعوة الحق العدد ٢٣٥ جمادى الثانية ١٥٠٤ = أبريل ١٩٨٤ - وقعة وادى المخازن الصغرى . الموجز فى تاريخ العلاقات الدولية للمغرب .

التمجروتى على : النفحة المسكية فى السفارة التركية ترجمة وتعليق الكونط دوكا سترى ، باريز ١٩٢٩ .

الحموى : معجم البلدان ، طبعة بيروت ١٣٧٤ = ١٩٥٥ .

ابن حيان : المقتبس (الخامس) نشر بـ : شالميتا - ف . كورينطى - م . صبح . المعهد الأسبانى العربى للثقافة ، مدريد - كلية الآداب بالرباط ، ١٩٧٩ .

ابن خلدون : المقدمة ، طبعة دار الكتاب اللبنانى ١٩٥٦ .

ذ . خوان برينيط : هل هناك أصل عربى إسبانى لفن الخرائط البحرية ، تعريب ذ . مختار العبادى ، مجلة المعهد المصرى ، مدريد ١٩٥٣ ج ١ عدد ١ .

الزركلي خير الدين : الأعلام : مادة العيدروس - الشاذلي ..

الزياني أبو القاسم : الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برّاً وبحراً (المخطوطة) .

د . الطيبي أمين : الملاحة البحرية ، مجلة العربي الكويتية ، صفر ١٤٠٤ - دجنبر ١٩٨٣ .

د . عبد العليم أنور : الفوائد في أصول علم القواعد ، مجلة تراث الانسانية ، المجلد الخامس ١٩٦٧ .

عطية أحمد محمد : أحمد بن ماجد ، مجلة الوثائق البحرينية سنة أولى عدد ٢ - يناير ١٩٨٣ .

عوض الله الشيخ الأمين : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الاسلاميتين مالي وسنغاي ، دار البيان العربي ١٣٩٩ = ١٩٧٩ م .

فيرّان ج : شهاب الدين بن ماجد ، دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الأولى من ترجمة الشنتناوي ، دار المعرفة بيروت .

قلعجي (قدري) : الخليج العربي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٥ .

كراتشكوفسكي : الجغرافيون والرحالة العرب في المخطوطات العربية ، طبعة أولى ١٩٤٥ - تاريخ الأدب الجغرافي العربي .

كـور أ (Gour A) : عُمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصيراً ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، ١٩٦٦ سلطنة عمان ، وزارة التراث القومى والثقافة .

لوريمـر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، طبع على نفقة أمير دولة قطر .

ابن ماجـد أحمـد : كتاب الفوائد فى أصول البحر والقواعد ، تحقيق ابراهيم خورى وعزة حسن ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٠ = ١٩٧١ .

ثلاثة أزهار فى معرفة البحار ، تحقيق ونشر ثيودور شوموفسكى (SHUMOVSKY) ترجمة د . محمد منير مرسى ، الناشر عالم الكتب القاهرة ، ١٩٦٩ .

الماجد عبد الله : الربان النجدى أحمد بن ماجد ، مجلة (العرب) دار اليمامة ، الرياض ، السنة الثالثة ، الجزء الأول ، رجب ١٣٨٨ = تشرين الأول ١٩٦٨ .

ماركوليــــوت (NARGOLIOUTH) : الشاذلية ، تعريب أبو ريدة ، دائرة المعارف الاسلامية .

مجلة رأس الخيمة : ابن ماجد هل مُتَّهم أم برىء ، عدد مارس ١٩٨٠ .

المسـعودى : مروج الذهب (النص العربى) المطبعة الملكية ، باريز .

الناصــــــرى : الاستقصا ، طبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٥٤ .

النهــــروالى : البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ، منشورات دار اليمامة/ الرياض ، أشرف على طبعه حمد الجاسر التمثيل والمحاضرة بالأبيات المفردة النادرة ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة ، تحقيق د . عبد الهادى التازى طبعة بيروت ١٣٨٣ = ١٩٦٤ وطبعة بغداد ١٩٧٩ .

صبحى أحمد محمود : نظرية الامامة ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٩ .

فارينها أنطوان دياز : العرب والمسلمون فى عصر الاكتشاف البرتغالى ، بحث قدم لمؤتمر تاريخ البحرين ، دجنبر ١٩٨٣ .

ستودارد لوثروب الأمريكى : حاضر العالم الاسلامى ، نقله إلى العربية الأستاذ عجاج نويهض ، تعليقات الأمير شكيب أرسلان ، مطبعة الحلبى - مصر ١٣٥٢ .

سزكين فؤاد : محاضرات فى تاريخ العلوم العربية والإسلامية ١٩٨٤ - معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، فرانكفورت ، البيضاء ، طبعة ثانية ١٩٦٥ .

د . سويس محمد : تقديم وتحليل لكتاب جامع المبادىء

والغايات ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، الكويت ١٤٠٢ = ١٩٨٢ .

شقليت أحمد رمضان : جزر القمر ، مجلة الفيصل ، عدد ٥٣ / ١٤٠١ = ١٩٨١ الرياض ، المملكة العربية السعودية .

شهاب حسن صالح : أضواء على تاريخ اليمن البحرى ، دار العودة ، بيروت ، طبعة ثانية ١٩٨١ .

الشيخ خزعل ، حنظل :تاريخ الخليج فى الوثائق البرتغالية ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٣٣ / ١٩٨٣ .

وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب (سلطنة عمان) : تعليق على كتاب أحمد بن ماجد ، ثلاث أزهار فى معرفة البحار .. ١٩٨٣ .

BARROS : DA ASIA 1777

L. DE CAMOES : OS LUSIADAS-CASA DA MOEDA DE 1572-

CASTANHEDA : Histoire de descrobimento e conquista. 1552.

DE CASTRIES : S.I.H.M., Série 2, t.2.

FERRAND (G) : Relations de voyages et textes géographiques arabes persans et turkos relatifs à l'extrême Orient, Paris 1913-1914.

FERRAND (G.) : Le Filote arabe de vasco de Gama et les instructions nautiques arabes du XVesiècle au XVIo siècle. (Annales de géographie, 1922).

FERRAND (G.) : Shihâb al-Dîn, Ency. Islam, 1934.

GERARD (Bernard) : Les comores. Editions de debraisse, 1976.

ISSIFOU (Z.D.) : L'Afrique Noire dans les relations internationales KHARTHALA.

KHALDONNE (IBN) : Al Miqaddima: Tradüction nouvelle, préface et note par Vincent Monteil. Sindbad, Paris 1978. (Discours sur l'Histoire Universelle).

GOES de Damião : Chronica de Serenissmo, 1566.

MACAOUDI : Les prairies d'or. Texte et traduction par C. Barbier de Meymard et Pavet de courteille T.2. Paris, Société Asiatique. Imprimerie IMPERTALE.

S. MAQBUL : Ahmed Ibn Mâjid.-Encyclopédie de l'Islam, 1965.

MOURRE (MICHEL) : Dictionnaire et Histoire Universelle T.1.p.330.

RICARD (Robertp.) : De CENIVAL, Chantel de LA VERONNE.-Les sources inédites de l'histoire du Maroc.

RICCARD (Robert) : F.R. Joao de Sousa. Hesp. 1949.

ROLLAND (J.F.) : Les Portugais à la conquête de l'Asie. 1956, 262 p. (CLUB FRANCATS DU LIVRE).

SEDILLOT : Traité des instruments Astronomiques... Paris.

SOUSA Joao : Documentos Arabicos. Lisboa, 1788.

Tibbetts, GR. : Arab Navigation in the indian ocean before the coming of the portuguese London, The Royal Asiatic Society of Great Britain and Irland, Reprinted; 1981.

WALTER DE GRAY BIRCH : The commentaries of the great Alonso d'ALBOQUERQUE trad. From Portugal in 1774. London, The Hakluyt Society.



الفهرس

ص .ب : ٦٦٨ - الرمز البريدي : ١١٣
مسقـــط - سلطـــنة عمـــان

رقم الإيداع ٢٠٠٥/٥٥

طبع بالمطبعة الشرقية ومكتبتها / هاتف : ٢٤٨١٦٩٥٢